



جامعة بنغازي
إدارة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم التاريخ



العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية في الفترة من (660-857هـ / 1261-1453م)

إعداد:

يوسف امراجع محمد يوسف

إشراف:

أ.د. محمد صالح منصور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم التاريخ بكلية الآداب بتاريخ 01 ربيع الثاني 1437 هـ الموافق 12 يناير 2016 م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ (60)
وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ } (61)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة الأنفال، الآيتان (60-61)

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى والديَّ عرفانا بفضلهما عليَّ، بعد الله عز وجل داعياً الله سبحانه وتعالى أن يطيل في عمرهما ويوفقهما إلى ما فيه مرضاته، وإلى كل أفراد أسرتي الذين ساندوني أثناء انجاز هذه الرسالة، كما أهدي هذا المجهود إلى ابن عمي فرج سالم يوسف وابنيه سالم وأحمد آملاً من العزيز الحكيم أن يصبحوا من طلبة العلم البارزين. أيضاً لا يفوتني أن أهدي هذا العمل إلى ابن أخي أنس العقوري راجياً الله ذو الجلال والإكرام أن يوفقه لما فيه خير لدينه ودنياه .

الباحث

الشكر والتقدير

الشكر أولاً لله العلي القدير الذي وفقني لانجاز هذه الدراسة. كما أتقدم بخالص
الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور محمد صالح منصور على كل الجهود التي بذلها
في توجيهي أثناء اعدادي لهذه الرسالة راجياً الله السميع العليم أن يطيل في عمره
ويوفقه لما فيه خير لدينه ودنياه.

كذلك الشكر موصول للأستاذ الدكتور علي حسين الشطشاط الذي كانت له
بصمة واضحة في دراستي الجامعية سواء في مرحلة الليسانس أو الدراسات العليا.

هناك أناس مهما قدمنا لهم الشكر لا يمكن أن نفيهم حقهم، وهم: الأستاذ عبدالله
الزليتي، والدكتورة أمال الزوي والأستاذة حميدة أبو شعراية على وقوفهم معي في
الأوقات الصعبة التي واجهتني في مرحلة الدراسة العليا. أيضاً أتقدم بالشكر لكل من
الشيخ أسامة الفرجاني الذي قام بمراجعة هذه الرسالة نحيواً، والأستاذة حليلة
المحمودي التي تكفلت بمراجعتها لغوياً. والشكر موصول إلى كل العاملين بالمكتبة
المركزية ومكتبة كلية الآداب. وقسم ليبيا بدار الكتب الوطنية ومكتبة أكاديمية
الدراسات العليا - بنغازي. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذة حليلة
السعيطي التي أشرفت على طباعة هذا العمل، والأستاذة: منصف جودة وحسين
الدرسي ومحمد السنوسي والمهندس عادل سلامة الذين قدموا لي يد العون أثناء
انجازي لهذا العمل.

أخيراً لا يفوتني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميلة الورفلي/ رئيس قسم
الخريجين بالجامعة.

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد

الصادق الأمين. وبعد؛

لقد شهدت المدة الأخيرة من العصور الوسطى استمراراً في العلاقات الرابطة بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية القوية آنذاك: دولة سلاجقة الروم وسلطنة المماليك والدولة العثمانية.

في حقيقة الأمر عرفت الأوضاع السياسية والاقتصادية في كلا العالمين العديد من التطورات المهمة خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

عندما ارتقى عرش الإمبراطورية البيزنطية ميخائيل الثامن "بالولوجوس"، كان عليه أن يواجه خطر سلاجقة الروم (المسلمين) الذين حملوا لواء الإسلام في آسيا الصغرى منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ولكن هذا لا يعني خلو هذه العلاقة من أي موقف إنساني، وهذا اتضح أثناء مدة الصراع الأسري داخل البيت السلجوقي، هذا فيما يخص العلاقة بين البيزنطيين والسلاجقة، ولكن على النقيض من تلك العلاقة ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك بعلاقات ودية وسلمية شملت النواحي: السياسية والاقتصادية والدفاعية، وذلك أغلب مدة حكم أسرة بالولوجوس التي صادف تبؤها للحكم، وصول المماليك للسلطة في العالم الإسلامي.

بعد انهيار سلطنة السلاجقة، حمل العثمانيون لواء الإسلام في آسيا الصغرى خلفاً لهم، وقد استطاعوا تحقيق العديد من الانتصارات على البيزنطيين، وذلك منذ تأسيسهم لدولتهم على يد السلطان عثمان بن أرطغرل، حيث استمروا في زحفهم على الأراضي البيزنطية باعتبار

أنهم ذوي طابع عسكري وهذا ما انعكس على العلاقة بين الطرفين منذ البداية وأعطاهما الطابع الحربي.

عند الإقبال على دراسة أي موضوع، من الطبيعي أن يكون وراء اختياره عدة أسباب، التي يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. رغبتني في دراسة طبيعة العلاقات البيزنطية الإسلامية إبان المدة الممتدة من (660-857هـ / 1261 - 1453م).

2. التطلع لمعرفة أهم الجوانب المؤثرة سلباً وإيجاباً على العلاقات البيزنطية الإسلامية.

3. الغموض الذي يكتنف العديد من الجوانب الخاصة بهذا الموضوع.

أما فيما يخص أهداف الدراسة فهي:

1. المساهمة في إثراء المكتبة العربية بصفة عامة والمكتبة الليبية بصفة خاصة بهذه الرسالة.

2. إزالة الغموض الذي تعاني منه الكثير من الأمور المتعلقة بالعلاقات البيزنطية الإسلامية أثناء مدة حكم أسرة باليولوجوس.

3. محاولة معرفة ما إذا كان لهذه العلاقات دور في إضعاف سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه الغرب اللاتيني.

أما فيما يتعلق بأهمية هذا الموضوع فهي تكمن في تمكّن للعديد من المحاور المهمة في

العلاقات البيزنطية الإسلامية في المدة المستهدفة من البحث من هنا تكمن أهمية هذه الرسالة والتي سأسعى من خلالها إلى معالجة العديد من الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع.

أما المنهج الذي أتبعته في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي السردى، والذي سأسعى

من خلاله إلى دراسة طبيعة العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية في المدة

من المستهدفة من هذا البحث ومعرفة الآثار والنتائج المترتبة عن هذه العلاقات على كلا الطرفين.

- وبخصوص الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجازي لهذه الرسالة فهي على النحو الآتي:
1. صعوبة الحصول على المصادر والمراجع المتناولة لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية، وبخاصة باللغة العربية والمترجمة إليها. ومما زاد في هذه المشكلة تأزماً إقبال المكتبة المركزية التابعة لجامعة بنغازي، بالإضافة إلى غلق مكتبة دار الكتب الوطنية.
 2. تركيز أغلب المراجع أثناء تناولها لتاريخ السلاجقة على تاريخ هذه الدولة حتى منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك يأتي في مدة متقدمة عن موضوع الرسالة، أما فيما يخص المراجع المتناولة لتاريخ سلطنة المماليك على علاقتها بالصلبيين والمغول مهملات علاقتهم بالبيزنطيين، وهذا بدوره أوجد صعوبة في الحصول على المراجع المتطرفة لهذا الجانب.

لقد قامت بعض الدراسات السابقة بالتطرق لموضوع العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية في المدة المستهدفة من هذه الرسالة في سياق حديثها عن المواضيع الخاصة بتاريخ الإمبراطورية البيزنطية ومن بين هذه الدراسات:

1. كتاب (الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (660-681هـ/1261-1282م) لمؤلفة إسحاق عبيد، وهذا المرجع من أبرز الدراسات التي تناولت علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالدولة الإسلامية في المدة الأخيرة من عمر الإمبراطورية البيزنطية، فقد تطرق لأحوال بيزنطة، بعد وقوعها في قبضة الصليبيين ما بين أعوام (601-660هـ/1204-1261م)، كذلك تناول كيفية استعادة ميخائيل باليولوجوس للقسطنطينية وتخليصها من سيطرة الصليبيين وعلاقة الإمبراطورية البيزنطية في عصر ميخائيل

بالبولوجوس - بالفرنجة والمماليك، ومشاركة ميخائيل في مجمع ليون

الثاني عام (673هـ/1274م)، وأخيراً ختم المؤلف هذه الدراسة بعرض السنوات الأخيرة لتاريخ الإمبراطورية. ورغم القيمة الكبيرة لهذه الدراسة إلا أن ما يؤخذ عليها تركيزها على عصر ميخائيل الثامن باستثناء عرضها للعلاقة مع العثمانيين.

2. كتاب "دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية" لمؤلفة حسنين محمد ربيع، وهذه الدراسة

أيضاً من الدراسات البيزنطية التي تطلعت لتاريخ الإمبراطورية من التأسيس إلى الانهيار بما في ذلك العلاقات البيزنطية الإسلامية زمن الأسرة الهرقلية، وعصر مناهضة الإيقونات، وأحوال الإمبراطورية في المدة الممتدة ما بين أعوام (449-601هـ/1057-1204م)، وأخيراً تطرق المؤلف لمدة اضمحلال الإمبراطورية وتدهورها وهذا المرجع مهم لدارسي تاريخ بيزنطى إلا أنه تناول باختصار علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك والدولة العثمانية.

ورغم تلك الظروف التي أشرت إليها مسبقاً إلا أنني تمكّنت - بعون الله - من الحصول

على عدد من المصادر والمراجع والتي من خلالها استطعت انجاز هذه الرسالة ومن بين هذه

المصادر:

1. كتاب "أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ" لمؤلفه أحمد بن يوسف القرمانى المتوفى

عام (1019هـ/1610م)، وهذا الكتاب يتكون من ثلاثة مجلدات، تناول في الأول منها

بداية تاريخ البشرية منذ عصر سيدنا آدم عليه السلام، وسيرة الرسول صلى الله عليه

وسلم وعصر الخلفاء الراشدين وغيرها من الموضوعات. أما في المجلد الثاني فقد

تحدث عن عصر الدولة الأموية في المشرق والمغرب، وعصر الدولة العباسية، وأخبار

الأيوبيين والمماليك، أما في المجلد الأخير (الثالث) فقد تطرق المؤلف لأخبار الدولة

العثمانية منذ عصر السلطان عثمان حتى عهد السلطان الأسعد أحمد خان كذلك تناول المؤرخ في هذا المجلد العديد من الموضوعات، منها على سبيل المثال الدولة الغادرية والرمضانية وأخبار بيزنطى قبل وبعد ظهور الإسلام، وهذا الكتاب من أبرز المصادر التي استفدت منها في جميع فصول الرسالة بإستثناء الفصل الثالث.

2. كتاب "الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني (857هـ/1453م)" لمؤلفة نيقولو باربارو، وهذا الكتاب في حقيقة الأمر يعتبر من أفضل المصادر التي تناولت الصفحات الأخيرة من عمر الإمبراطورية البيزنطية، ومما زاد في قيمة هذا العمل عرضه لمراحل الصراع الإسلامي البيزنطي منذ عصر الأمويين والعباسيين، كذلك علاقتهم بالسلاجقة وأخيراً العثمانيين، بالإضافة إلى أن المؤلف كان شاهد عيان على فتح العثمانيين للقسطنطينية عام (857هـ / 1453م) واستفدت من هذا الكتاب في الفصلين الثاني والرابع من هذه الرسالة.

وقد اعتمدت على عدد من المراجع أثناء إنجازي لهذه الرسالة ومن أهمها على سبيل

المثال:

1. كتاب "تاريخ الدولة البيزنطية 423 - 1453م" لمؤلفة طه خضر عبيد، لقد قام المؤلف بتقسيم كتابه إلى اثني عشر فصلاً، تحدث فيه عن جميع مراحل تاريخ الإمبراطورية البيزنطية بما في ذلك تأسيسها وأوضاع الإمبراطورية في عهد أسرة جستنيان والأسرة الايسورية والعمورية والمقدونية والكومينية والانجيلية وأحوال الإمبراطورية في نيقيا، وأخيراً الأسرة البيولوجية وسقوطها على يد العثمانيين، عام (857هـ / 1453م). وهذا المرجع يعتبر من أهم المراجع التي تطرقت لتاريخ الإمبراطورية بالكامل، وقد أفادني في جميع فصول الرسالة بإستثناء الفصل الثالث.

2. كتاب "تاريخ الدولة البيزنطية" لمؤلفيه عمر كمال توفيق ومحمود سعيد عمران، وينقسم هذا الكتاب إلى أحد عشر فصلاً، تحدث فيه المؤلفان عن تاريخ الإمبراطورية من التأسيس إلى السقوط مروراً بفترات القوة والضعف، وعلاقة الإمبراطورية بالأطراف الخارجية، ومنها على سبيل المثال علاقتها بالسلجقة والعثمانيين، وهو مرجع مهم وقد استعنت به في جميع فصول الرسالة.

أما فيما يخص خطة البحث فقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وأربع فصول وخاتمة، الأول منها تناولت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية في العالمين البيزنطي والإسلامي قبل عام (660هـ/1261م) حيث بدأت بأحوال الإمبراطورية البيزنطية متناولاً أوضاعها عقب سقوطها في يد الصليبيين اللاتين عام (601هـ/1204م)، وظهور الكيانات المستقلة عن سلطة الإمبراطورية، وانتقالها إلى نيقية، وكيفية استرجاع ميخائيل الثامن باليولوجوس للقسطنطينية، ثم تطرقت لاقتصادها، المتمثل في الزراعة والصناعة والتجارة وأخيراً العملة. وبعدها قمت بعرض للأوضاع السياسية في العالم الإسلامي. حيث تطرقت للدولة السياسية المستقلة عن عاصمة الخلافة العباسية بغداد، وكيفية سقوط هذه العاصمة على يد المغول عام (656هـ/1258م)، وطبيعة الحياة الاقتصادية في البلاد الإسلامية، وأحوال الزراعة والصناعة والتجارة في ذلك الوقت وكذلك تطرقت للعملة المتداولة بها.

أما الفصل الثاني فخصصته لعلاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلجقة الروم، حيث تحدثت عن نشأة دولة سلجقة الروم وعلاقتهم بالبيزنطيين قبل وصول الأسرة البيولوجية للحكم ثم طبيعة العلاقة بعد وصولها للحكم، كذلك قمت بعرض أهم ما تمخض عن هذه العلاقة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

أما فيما يتعلق بالفصل الثالث الموسوم بـ "علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك، فقد تمّ فيه عرض يشتمل على أصل المماليك وكيفية تأسيسهم لسلطنتهم، وعلاقتهم بالبيزنطيين في عصر حكم المماليك البحرية والبرجية، وبعدها تناولت النتائج المترتبة عن هذه العلاقة من الناحيتين السياسية والاقتصادية على كلا الطرفين.

وبخصوص الفصل الرابع فقد تحدثت فيه عن علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالدولة العثمانية، حيث بدأت بعرض يتضمن أصل العثمانيين ونشأة دولتهم، والعلاقات البيزنطية العثمانية ما بين أعوام (699-805هـ/1300-1402م) وهي المدة الممتدة ما بين تأسيس الدولة حتى نكبة أنقرة التي هاجم فيها المغول الأراضي العثمانية كذلك تناولت العلاقات بينهما ما بين أعوام (806-857هـ/1300-1453م) والتي انتهت بفتح السلطان محمد الثاني للقسطنطينية على النحو الذي تم عرضه في هذا الفصل.

الفصل الأول

العلاقات السياسية والاقتصادية في الإمبراطورية

البيزنطية والعالم الإسلامي قبل عام

(660هـ/1261م)

أولاً - الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية قبل سنة (660هـ / 1261م):

1- ظهور الكيانات المستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية.

2- عودة وحدة أراضي الإمبراطورية.

ثانياً - الأوضاع الاقتصادية:

1- الزراعة.

2- الصناعة.

3- التجارة.

4- العملة.

ثالثاً - الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي:

1- ظهور الدويلات المستقلة عن سلطة الخلافة العباسية.

2- سقوط الخلافة العباسية.

رابعاً - الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي:

1- الزراعة.

2- الصناعة.

3- التجارة.

4- العملة.

لم تكن الإمبراطورية البيزنطية في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في أوج قوتها أو بالأحرى هي ذاتها التي حكمت مناطق عديدة طوال مدة العصور الوسطى، وذلك مرجعه إلى العديد من التطورات السياسية المتلاحقة والمتسارعة التي ألمت بها فعلى سبيل المثال لم تعد القسطنطينية⁽¹⁾ هي عاصمة الإمبراطورية بعد سقوطها في أيدي الصليبيين بعد الحملة الصليبية الرابعة عام (1204/هـ601م) التي انحرفت عن مسارها الحقيقي وهو مصر، كذلك ظهرت عدد من الكيانات السياسية المستقلة عن سلطة الإمبراطورية في كثير من عديد المناطق التي كانت خاضعة لها بما في ذلك آسيا الصغرى⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك تدهورت الأحوال الاقتصادية وذلك بعد سيطرة البنادقة على الطرق والمراكز التجارية في غالب مناطق الإمبراطورية وذلك بعد مساعدتهم للصليبيين في السيطرة على العاصمة البيزنطية⁽³⁾.

أولاً: الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية قبل سنة (1261/هـ660م):

عقب سقوط القسطنطينية في أيدي الصليبيين جراء المؤامرة التي حاكها زعماء الحملة الصليبية الرابعة وعلى رأسهم الفرنسي بلدوين كونت فلاندرز والإيطالي بونيفاس ماركيز

(1) القسطنطينية: ويقال قسطنطينية انتقل إليها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سوراً سماها قسطنطينية وهي اسطنبول اليوم ولها خليج من البحر يطبق بها من وجهتين مما يلي الشرق والشمال، وجانبها الغربي والجنوبي في البر، وهي القسم الأكبر من بلاد الروم في أوروبا وكانت تسمى ليغوس = ياقوت الحموي، أبو شهاب بن عبدالله: معجم البلدان، دار صادر (بيروت، 1997م) 347/4، كذلك جاويز، سليمان بن خليل بن بطرس: التحفة السنوية في تاريخ القسطنطينية، دار صادر (بيروت، 1995م) ص5.

(2) الشيخ، محمد محمد مرسى: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1994م) ص 389.

(3) توفيق، عمر كمال ومحمود سعيد عمران: تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2010م) ص221.

مونت فرات⁽¹⁾، فرَّ الإمبراطور البيزنطي اليكسوس الخامس الذي تولى الحكم سنة واحدة سنة (1240/٥638م) ومعه البطريرك وثيودور لاسكاريس خوفاً من اعتداء الصليبيين اللاتين الذين قاموا بعمليات السلب والنهب وانتهاك أعراض الراهبات وعاثوا فساداً في كنيسة القديسة أياصوفيا في العاصمة القسطنطينية، حيث أتلّفوا الكتب المقدسة التي توجد فيها، ودمروا الأسواق والشوارع، وهكذا أصبحت المدينة التي دمجت الفن القديم اليوناني بالفن بالبيزنطي في أيدي الصليبيين الحاقدين على سكان الإمبراطورية اليونانيين⁽²⁾.

1. ظهور الكيانات المستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية:

بعد هذه النكبة التي حلت بالبيزنطيين ظهرت على مسرح الأحداث في آسيا الصغرى عدد من الإمارات الصليبية الإقطاعية⁽³⁾، أما فيما يخص الإمبراطورية البيزنطية فقد تولى إسحاق الثاني انجيلوس وابنه اليكسوس الرابع⁽⁴⁾ وذلك بعد مساعدة فيليب سوابيا منطقة (Philip of Subia) إمبراطور ألمانيا (594 - 1197/٥656 - 1258م) وزوج ابنة الأول الذي دعم هذه الحملة حيث أنه سهّل عملية الاتصال بين قادة الحملة وصهره الذي هرب من سجنه في القسطنطينية إلى ألمانيا⁽⁵⁾، ولكن عندما نكث اليكسوس ووالده العهد الذي قطعاه لقادة الحملة أدى هذا إلى نقيمتهم عليهما مما أدى إلى قيام إمبراطورية صليبية بدل الإمبراطورية

(1) عبيد، إسحاق: الدولة البيزنطية في عصر باليولوجوس (1261 - 1282م) منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، بدون تاريخ) ص13، كذلك الشطشاطر، علي حسين: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي (بنغازي، 2004م) ص179.

(2) ربيع، حسنين محمد: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 1995م) ص255 - 256.

(3) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص211.

(4) منصور، محمد صالح: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، منشورات جامعة قاربيونس (بنغازي، 1996م) ص230.

(5) عبيد، طه خضر: تاريخ الدولة البيزنطية (324 - 1453م) دار الفكر (عمان، 2010م) ص215.

البيزنطية⁽¹⁾، وتمّ تتويج بونيفاس كأول إمبراطوراً لها ولكنه ترك السلطة استجابة للرأي العام، والجدير بالذكر أن بونيفاس على الرغم من أنه قد يكون متزوجاً إلا أنه خطب أرملة الإمبراطور البيزنطي إسحاق الثاني انجيلوس وتدعى ماكريت أخت أميريك (Emeric) ملك المجر، وهذا كله كان يهدف من وراءه إلى بسط الشرعية على توليه عرش الإمبراطورية، أما فيما يخص العاصمة البيزنطية فلم يُعدّ بها سوى القليل من السكان على سبيل المثال: الأطفال والشيوخ وطبقات المجتمع الدنيا الذين لم يستطعوا الانتقال إلى خارج القسطنطينية⁽²⁾. حيث أصبحت العاصمة الجديدة والمؤقتة للإمبراطورية البيزنطية ولم يستمر بونيفاس على الحكم إذ أن الصليبيين والبنادقة اختاروا الكونت بلدوين كونت فلاندرز إمبراطوراً⁽³⁾.

تم إعطاء بلدوين من الغنيمة ربع أراضي الإمبراطورية المعروفة بدومينا " للتاج، أي الإمبراطور وكانت هذه الأراضي موزعة بين مقدونيا والمناطق الشمالية الغربية لآسيا الصغرى كما تحصل على عدد من الجزر المهمة الواقعة ضمن نطاق بحر إيجه⁽⁴⁾.

في الحقيقة إن لها البابا انوسنت الثالث (inocent III) (595-613هـ/1198-1216م) الذي تمكّن من فرض كلمته على غالب الأراضي في غرب القارة الأوروبية بحكم ما كان يمتلكه من ثقافة في أمور اللاهوت وعلم القانون وغيرها من الصفات والذي دعى إلى الحملة الصليبية الرابعة⁽⁵⁾، بالإضافة إلى أنه كان يريد أيضاً توحيد الكنيستين وهو أمل طالما كان

(1) محمد منصور: المرجع السابق، ص230.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص219.

(3) المرجع نفسه، ص219.

(4) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص14-15.

(5) محمود عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت، 1986م) ص300.

يتمناه ويسعى إليه بعد قطيعة عام (446هـ/ 1054م)⁽¹⁾، وهذا يفسر أسباب انحراف الحملة عن مسارها الحقيقي وهو السيطرة على مصر، وهكذا سقطت القسطنطينية العاصمة البيزنطية، التي لم تسقط من أيدي البيزنطيين منذ أن أسسها قسطنطين الأول ما بين سنتي (324/ 330م) على أنقاض مدينة بيزنطيوم⁽²⁾.

أيضاً من ضمن الكيانات السياسية التي قامت بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية إمارة ابيروس⁽³⁾، التي أنشئت على يد بمبخائيل انجيلوس⁽⁴⁾، الواقعة ضمن الأراضي الغربية لليونان⁽⁵⁾، وهذا الأمير ابن غير شرعي للأسرة الإنجيلية⁽⁶⁾ (581-601هـ/ 1185-1204م)⁽⁷⁾ التي كانت لها علاقات وصلات وثيقة بأسرتي كومنين⁽⁸⁾ (474-581هـ/ 1081-1185م) ودوقاس⁽⁹⁾. (451-474هـ/ 1059-1081م) ولهذا السبب كان على حكام ابيروس

-
- (1) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية (1095 - 1261م) دار النهضة العربية (بيروت، 1990م) ص218.
 - (2) تاريخ العالم، تحقيق: عبدالرحمن بدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، 1982م) ص349.
 - (3) ابيروس: تقع في بلاد اليونان وقد شملت أراضيها ألبانيا = يوسف، جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453م) دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1994م) ص178.
 - (4) غنيم، أسمت: تاريخ الدولة البيزنطية (324 - 1453م) دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1987م) ص152.
 - (5) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2000م) ص343.
 - (6) أسرة انجيلوس: أسسها إسحاق انجيلوس وعدد حكامها أربعة، وانتهت مدة حكم هذه الأسرة في عصر آخر أباطرتها اليكسوس الخامس الذي حكم بضعة أشهر = طه عبيد: المرجع السابق، ص213.
 - (7) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص212، كذلك طه عبيد: المرجع السابق، ص213.
 - (8) أسرة كومنين: تنحدر الأسرة الكومنينية من أصل إغريقي، وكانت قد استقرت في إقليم أدنة وهي أسرة نبيلة إقطاعية وعسكرية تمتلك أملاكاً شاسعة حول مدينة أدنة في آسيا الصغرى = طه عبيد: المرجع السابق، ص193.
 - (9) أسرة دوقاس: هي أسرة يونانية حكمت الإمبراطورية في الفترة ما بين (451-474هـ/ 1059-1081م) حيث تولي منها الحكم خمسة أباطرة، واشتهرت هذه الأسرة بأن كان منها القادة والزعماء العسكريين = المرجع السابق، ص182.

تذيل أسماءهم باسم عائلي طويل هو (Angelus Comnenus Ducas) وقد اتسعت هذه الإمارة حتى بلغت دور أزوا الواقع في الشمال إلى خليج كورنثة في الجنوب، وقد أصبحت مدينة أرطا عاصمة لهذه الدولة الجديدة المنشقة عن سلطة القسطنطينية⁽¹⁾.

استطاع ميخائيل تثبيت دعائم حكمه وحقق النصر على صليبي أثينا وسالونيك وبعد وفاته تولى العرش من بعده أخوه ثيودور (612-621هـ/1215-1224م) وقد عمل الأخير على تنفيذ سياسة سلفه تجاه الصليبيين، وقد كللت أعماله في عمومها بالنجاح وهكذا برزت على الخارطة السياسية قوتان بيزنطيتان: الأولى في أبيروس والثانية في نيقيا الواقعة ضمن نطاق أراضي آسيا الصغرى وهدف كل منها هو استرداد القسطنطينية⁽²⁾.

كان ثيودور على علاقة جيدة ببلاط نيقيا حيث أمضى بعض الوقت هناك وأقسم يمين الولاء والطاعة لثيودور الأول لاسكاريس (601-640هـ/1204-1242م) لكن ما إن تولى العرش حتى تنكر للقسم الذي أداه ودخل في الصراع مع بلاط نيقيا⁽³⁾. ولكن بعد الحروب والصدامات التي وقعت بين الطرفين هُزمت أبيروس واعترف حاكمها يوحنا أنجيلوس (638-642هـ/1240-1244م) بتبعيته لإمبراطورية نيقيا⁽⁴⁾.

(1) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 265.

(2) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 345، كذلك بن ناصر، خليفة وصلاح الحيدري: الموجز في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، منشورات جامعة درنة (درنة، 2002) ص 195.

(3) محمود عمران: المرجع نفسه، ص 345، كذلك طه عبيد: المرجع السابق، ص 219.

(4) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص 21-24.

أما في طرابيزون التي تقع في نطاق أراضي آسيا الصغرى⁽¹⁾، فقد تمكّن الأمراء البيزنطيون الذين ينتمون إلى الأسرة الكومنينية من تكوين إمبراطورية امتدت من هرقليه إلى القوقاز على طول الشريط الساحلي للبحر الأسود⁽²⁾.

تتمتع طرابيزون بعدة مزايا أهمها موقعها الجغرافي والاستراتيجي الذي أعطاهم موقعاً مناسباً ذا أهمية في التجارة الشرقية باعتبارها من المراكز التجارية المهمة في تلك المنطقة، وعلى أية حال فإن الإمبراطورية البيزنطية في طرابيزون لم تكن قريبة من القسطنطينية، وهذا شكل عائقاً في سبيل تحقيق الهدف المنشود آنذاك عند البيزنطيين وهو استرداد القسطنطينية، وعلى الرغم من أنها كانت تتبع اقتصادياً إمبراطورية نيقيا إلا أنها فشلت في تحقيق إمبراطورية واسعة ذات قوة وأهمية في تلك المدة⁽³⁾.

ظهرت في أثينا إمارة لاتينية، تمكّنت من المحافظة على سيادتها أثناء حكم أسرة لاروش (Larochs) حتى سنة (1311/هـ711م) وخلفهم هناك المجموعات الكتالانية (Catalans) وجاء بعدهم نبلاء من إمارة آخايا ينحدرون من أصول فلونسية، والجدير بالذكر أن البيزنطيين لم يستطعوا بتاتاً استعادة أثينا⁽⁴⁾.

كذلك شهدت آخايا إنشاء إمارة صغيرة⁽⁵⁾، التي ازدهرت أثناء حكم أمرائها الثلاثة والذين ينحدرون من أسرة فيلهاردوان وهم: جيوفري الأول المؤسس وابنيه جيوفري الثاني ووليم (606-677هـ/1209-1278م)، وقد اتسمت هذه الإمارة بالنظام الإقطاعي ولكنها كانت على درجة لا بأس بها من التنظيم إدارياً، ومالياً، وعسكرياً، وهذا يرجع إلى

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص218.

(2) أسمت غنيم: المرجع السابق، ص162.

(3) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص269.

(4) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص220-221.

(5) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص343.

حسن تصرف حكاهما واستقرارها، وقد عرف بلاطها باندرفيدا (Andravida) ذا الطابع الفرنسي، وقد انتشرت اللغة والمؤثرات الفرنسية في هذه الإمارة على سبيل المثال في إدارة شؤون الإمارة⁽¹⁾.

أما فيما يخص بلاد اليونان فقد شهدت تأسيس مملكة سالونيك⁽²⁾. بالإضافة إلى كل هذه الكيانات ظهرت عدد من الإمارات والدوقيات مثل: دوقية طيبة الواقعة وسط بلاد اليونان⁽³⁾، وإمارة نيوباتراس أو الأثيا الكبرى الواقعة في الجزء الأوروبي من الإمبراطورية أما في شبه جزيرة البلوبونيز فقد شهدت ظهور إمارة المورة اللاتينية⁽⁴⁾.

سيطر الحنويون على جزيرة خيوس. وهي إحدى الجزر القريبة من القسطنطينية⁽⁵⁾، وأيضاً استطاعوا تأسيس عدة مستعمرات على طول سواحل بلاد الأناضول والبحر الأسود⁽⁶⁾. كذلك استحوذت البندقية على العديد من المناطق في الأرخيبيل اليوناني⁽⁷⁾، وأحكموا قبضتهم على بحري إيجه والادرياتكي بالإضافة إلى كريت⁽⁸⁾.

أما فيما يتعلق الإمبراطورية البيزنطية في المنفى أي نيقيا - التي حملت على عاتقها وتحرير العاصمة من الصليبيين اللاتين-⁽⁹⁾ فقد تم تأسيسها مباشرة بعد أن أحتلت القسطنطينية في 13 أبريل (1204م/601هـ) من قبل الصليبيين بعد الحملة الصليبية الرابعة فقد فرَّ أباطرة

(1) عمر توفيق ومحمود عمران، المرجع السابق، ص221.

(2) خليفة بن ناصر وصلاح الحيدري: المرجع السابق، ص197.

(3) طه عبيد: المرجع السابق، ص218.

(4) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 342-343.

(5) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص223.

(6) خليفة بن ناصر وصلاح الحيدري: المرجع السابق، ص193.

(7) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص223.

(8) محمود عمران: المرجع السابق، ص343.

(9) المرجع نفسه، ص343.

الإمبراطورية البيزنطية إلى منقاهم أو مقر حكمهم الجديد في مدينة نيقيا أقاموا فيها نصف قرن حتى عام (660هـ/1261م)⁽¹⁾.

قامت الإمبراطورية البيزنطية في نيقيا على يد أسرة لاسكاريس (Lascaris) في الجزء الغربي من آسيا الصغرى، متوسطة الممتلكات الصليبية اللاتينية هناك، وقد احتوت أيضاً جزءاً من الشريط الساحلي لبحر إيجه⁽²⁾.

عمل ثيودور الأول لاسكاريس قائداً لأحدى فرق الجيش في آسيا الصغرى في وقت سابق وبالتحديد أثناء مدة حكم الإمبراطور اليكسوس الثالث، وقد سعى جاهداً إلى التصدي للغزو الصليبي على القسطنطينية، ولكن بعد سقوطها في يد الصليبيين هرب إلى نيقيا، واجتمع حوله الكثير من البيزنطيين، واتخذ منها عاصمة جديدة للإمبراطورية، ولقد انتهز ثيودور سوء الأوضاع في الإمبراطورية الصليبية ما بين سنوات (602-605هـ/1205-1208م) بسبب صراع الصليبيين مع البلغار وأسر بلديون فقام في عام (605هـ/1208م) بإعلان نفسه إمبراطوراً على البيزنطيين⁽³⁾.

في عام (619هـ/1222م) تولى حكم إمبراطورية نيقيا خلفاً لثيودور الإمبراطور يوحنا فاتاتزيس (Vatatzes) (619-652هـ/1222-1254م) الذي دأب على خطى سلفه ووالد زوجته إيرين، ولقد اتصف بمهارته في إدارة شئون الحكم وبأنه جندي ماهر قام بإصلاح

(1) سلطان، علي: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية (طرابلس، بدون تاريخ) ص10.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص265.

(3) طه عبيد: المرجع السابق، ص220، كذلك زيد، أسامة زكي والأمين أبو سعده: معالم تاريخ الدولة البيزنطية وحضارتها (بدون مكان، 2007م) ص469.

الأحوال المالية وطرد الصليبيين اللاتنين من جنوب مدينة تراقيا⁽¹⁾، فكان ذلك سنة (1230م/628هـ) وكاد أن يسيطر على القسطنطينية بعد أن أحكم الحصار عليها، ولكن مناعة أسوارها ونجدة أسطول البنادقة وقفا دون ذلك⁽²⁾.

بعد وفاة يوحنا الثالث ارتقى العرش ابنه ثيودور الثاني لاسكاريس (1254-1258م) الذي سار على نهج والده، وتمكن من طرد البلغار من إقليم مقدونيا، وبعد وفاته تربع على العرش طفل صغير حوالي في الثامنة من عمره، وهو يوحنا الرابع، وهذا أدى إلى عدم الاستقرار السياسي في إمبراطورية نيقيا، وهذا شيء طبيعي في ظل تلك الظروف⁽³⁾.

هكذا كانت الأحوال في أراضي في الإمبراطورية التي خضعت للصليبيين بعد غزوه لها في التاريخ المذكور⁽⁴⁾ والذي كان مرجعاً عدم تمكنها من ممارسة أسلوبها الدبلوماسي الناجح الذي لا طالما تمكنت من خلاله من الحفاظ على أراضيها⁽⁵⁾.

2. عودة وحدة أراضي الإمبراطورية:

بعد أن خلف يوحنا الرابع (1258-1261م) والده في حكم الإمبراطورية اقتضت الظروف أن يكون تحت وصاية كلاً من: جورج موزالون (George muzalon) أحد المقربين من البلاط والبطريك ارسينوس الذي (Arsenius) فشل في مساعدة هذا

(1) مدينة تراقيا: تقع مدينة تراقيا في شبه جزيرة البلقان وبالتحديد في مقدونيا = العربي، السيد الباز: الدولة البيزنطية (323- 1081م) دار النهضة العربية (بيروت، 1982م) ص117.

(2) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص245، كذلك طه عبيد: المرجع السابق، ص221.

(3) طه عبيد: المرجع السابق، ص221.

(4) Byzantine empire From wikipedia, free- encyclopedia: P32.

(5) Brubaker, Jeffrey d: "The end followed in no Long time" Byzantine diplomacy and the Relations with the west form q62 – 1204, copyright by Jeff brubaker (Texas – 2009) p113.

الإمبراطور الصغير على إدارة شؤون الدولة، وفي تلك الأثناء سطع نجم القائد ميخائيل باليولوجوس، الذي كان يطمح لحكم الإمبراطورية، وقد تمكّن اتباعه من قتل موزالون عندما كان يتعبد في الكنيسة بعد أيام قليلة من ارتقاء يوحنا الرابع العرش، فقرر مجلس الشيوخ بعد اجتماعه أن يحمل ميخائيل لقب دون أعظم (Megadux) ووصياً على الإمبراطور القاصر يوحنا⁽¹⁾.

ينتمي ميخائيل الثامن إلى أسرة بيزنطية عريقة كان لها دور فعّال في بعض مراحل التاريخ البيزنطي وبالتحديد منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولقد عمل الجد الأكبر على وصول آل كومنين إلى سدة الحكم⁽²⁾، وذلك بحكم العلاقة القوية التي بينه وبين هذه الأسرة، وقد ذكر ميخائيل بأنه سليل الأسر البيزنطية الحاكمة: دوقاس وكومنين وانجيلوس، حيث أن العديد من أفراد أسرة ميخائيل تولوا مناصب ذات أهمية فائقة في بلاط الإمبراطورية مثل: قيادة الجيش وإدارة الإمبراطورية، كما ساعدت صلات المصاهرة كثيراً هذه الأسرة، وبخاصة أثناء تولي ميخائيل أبرز الوظائف في الإمبراطورية البيزنطية في المنفى "نيقيا" وذلك أثناء مصاهرة أسرته لأسرة ثيودور الأول لاسكاريس إمبراطور نيقيا البيزنطية⁽³⁾.

فيما سبق قدم ميخائيل الولاء لشخص موزالون والإمبراطور القاصر، ولكنه في نفس الوقت كان يببب في نفسه رغبة طموحة وهي الحلول مكان الأول في الوصاية وقد تبين ذلك حادثة الكاندرائية والتي نتج عنها اغتيال موزالون وأهله بحيث أنه عمل على إقناع كل من

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص221-222.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص285.

(3) المرجع نفسه، ص285.

حواله بأنه الأجدر بالوصاية على العرش، واستطاع في نهاية المطاف أن يصل إلى هدفه وتلقب بالدوق الأكبر⁽¹⁾.

لم تمر مدة طويلة على تعيين ميخائيل وصياً على الإمبراطور القاصر حتى تمّ تنويجه على يد البطريرك ارسينوس كإمبراطور مشارك وقد تمّ ذلك في سنة (658هـ/1259م) وبعدها فرض سلطته الفعلية على الإمبراطورية⁽²⁾.

بمجرد اعتلاء ميخائيل للعرش تبين للبيزنطيين والصلبيين على حد سواء رغبته في استرداد العاصمة المسلوقة وباقي الأراضي والممتلكات البيزنطية⁽³⁾، وقبل أن يبدأ في هذه المهمة الصعبة أراد أن ينفرد بالحكم فقام بسمل عيني الإمبراطور القاصر وأودعه السجن⁽⁴⁾، وأيضاً أوجد عدداً من المناصب الجديدة في الإمبراطورية وكلف أهله وأصحابه بها، ومن بين هذه المناصب الشرفية الجديدة منصب "أمير" الذي أطلقته على أحد أخوته، وتقلدّ اثنان من أسرته لقب سباستوكراتور و لقب أحد ضباط الجيش البارزين ويدعى الكسيوس ستراتيجو بيولوس بلقب قيصر⁽⁵⁾.

حرض اغتصاب ميخائيل للسلطة جميع أعداء الإمبراطورية البيزنطية على إعلان الحرب عليها فقام حاكم ابيروس على جمع جيش كبير بمساعدة لوردات من الفرنجة الموجودين في بلاد اليونان⁽⁶⁾، وكذلك الصليبيين المستقرين في العاصمة القسطنطينية

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص37.

(2) أسمت غنيم: المرجع السابق، ص167.

(3) عمر توفيق ومحمود وعمران: المرجع السابق، ص224.

(4) طه عبيد: المرجع السابق، ص223.

(5) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص39.

(6) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى لحديب، دار الفكر العربي (القاهرة، بدون تاريخ) ص234.

والمناطق الأخرى المناطق، بالإضافة إلى البنادقة⁽¹⁾. وعليه عمل ميخائيل باليولوجوس على تجهيز جيشه الذي قام بالهجوم على خصومه المتحالفين وألحق بهم هزيمة نكراء في سهل بيلاجونيا (Pelagounia)⁽²⁾، الواقع شمال الأراضي اليونانية بالقرب من كاستوريا (Castoria) غربي مقدونيا إبان خريف سنة (658هـ/1259م)⁽³⁾، ولقد كان غالب جيش ميخائيل يتكون من عناصر: الأتراك والصقالبة واليونانيين بالإضافة إلى البيزنطيين، وقام ميخائيل بتسجيل أحداث هذه الملحمة التاريخية - بالنسبة للتاريخ البيزنطي - في السجل الخاص بسيرته الذاتية⁽⁴⁾.

كان انتصار بيلاجونيا آخر انتصار كبير استطاع أن يحرزه جيش بيزنطي، وكان له الأثر الواضح في تحديد مصير الأسرة البيبلوجية، وذلك لأن أعداء ميخائيل بعد هزيمتهم لم يستطيعوا مواجهته مرة أخرى⁽⁵⁾، وأصبح ميخائيل يتدخل في أوضاع شبه الجزيرة البلبوني⁽⁶⁾. كذلك انحصر سلطان ابيروس في أراضيها فقط، وأما فيما يخص الإمبراطورية الصليبية فإنها لم يعد بإمكانها الحصول على إمارة آخايا المهزومة أيضاً في تلك المعركة، وعليه أصبح الطريق أمام ميخائيل لاستعادة القسطنطينية مفتوحاً، باعتبار أن القوة الوحيدة التي كان يعتمد عليها الصليبيون آنذاك بعد معركة بيلاجونيا هي الأسطول البندقي الذي وقف موقف الحياد⁽⁷⁾.

(1) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 349.

(2) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص 219.

(3) محمود عمران: المرجع السابق، ص 349.

(4) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 286.

(5) أومان: المرجع السابق، ص 234.

(6) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص 221.

(7) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 286.

لقد كانت الأوضاع في القسطنطينية في تلك المدة سيئة جداً بحيث أصبحت الفرصة مواتية للبيزنطيين لاسترجاعها، وكان حاكمها بلدوين كرتناي (Baldwin Krtnai) في أسوأ حال حيث أن الشدائد أصبحت تحيط به من كل جانب. بالإضافة إلى أن ابنه ووريثه كان مرهوناً لبنك كابلي (Capelli) البنديقي بعد أن تم إعطاء قرض متواضع لوزير مالية الإمبراطورية، وفي تلك الأثناء رأى ميخائيل الثامن أن الفرصة مواتية للانقضاض على المدينة مستغلاً فرصة ابتعاد أسطول البنديقية عن القسطنطينية إذا أنه كان في عرض البحر، فقام بتجهيز جيش كبير وجعل على رأسه قائد تراقيا اليكسوس ستراتيجوس، الذي سبق ذكره، والذي قام بشن هجوم مفاجئ على القسطنطينية، وبالتحديد في أغسطس عام 1261م وتوغل داخل أسوارها بحوالي ثمانمائة من الجنود النظاميين وعدد بسيط من المتطوعين الذين لم يتم تسليحهم جيداً خوفاً من غدرهم، وفي حقيقة الأمر تعتبر هذه النتيجة منطقية وبخاصة أن الإمبراطورية الصليبية كانت تعاني من المشاكل الاقتصادية والسياسية⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن مساحة الإمبراطورية البيزنطية بعد أن تم استردت هيبتها بقيادة ميخائيل الثامن وطرده الصليبيين اللاتين من القسطنطينية، لم تكن تشمل كل الأراضي التي كانت تحكمها إمبراطورية نيقيا في آسيا الصغرى، حيث ضمت القسطنطينية وتراقيا وبعض الأنحاء من مقدونيا وعدد من الجزر في الأرخيبيل، وبهذا يتضح أنها لم تشمل كل أجزائها. حيث أنها أصبحت محدودة الأراضي وضعيفة⁽²⁾.

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية:

-
- (1) أومان: المرجع السابق، ص234-235، كذلك
Vasiliev, A.A: History of the Byzantine empire p474.
- (2) جوزيف يوسف: المرجع السابق، ص278، كذلك
Shepard, Jonathan: The Cambridge history of the Byzantine empire (500-1492)
(Cambridge University, 2008) P35.

كان لتوسط موقع الإمبراطورية بين الشرق والغرب ونشاط أسطولها التجاري، وإحكام قبضتها على التجارة داخل القسطنطينية وخارجها وأيضاً وفرة وتنوع أراضيها الزراعية، دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية في الإمبراطورية طوال تاريخها، ومما يدل على ذلك هو محافظة العملة البيزنطية على قيمتها طوال مدة العصور الوسطى، حيث تمّ التعامل بها في الأسواق الشرقية والغربية⁽¹⁾.

وعند دراسة الأوضاع الاقتصادية في الإمبراطورية ينبغي التطرق لعناصر ومقومات الحياة الاقتصادية فيها وهي:

1. الزراعة:

عند الحديث عن الزراعة يجب ربطها بنظام ملكية الأرض والضرائب، فقد كانت حاجة الدولة ماسة إلى المال لذلك صدرت عدة تشريعات خاصة بالزراعة، جعلت من الأرض أسلم أنواع الاستثمار المالي وقد كان ذلك في وقت لم يوجد فيه نظام مالي أكثر شمولية⁽²⁾.

وقد ازدهرت في الإمبراطورية البيزنطية زراعة الكثير من المحاصيل الزراعية من أهمها: التوابل التي كان الفلفل في مقدمتها والقرفة⁽³⁾، والزعفران⁽⁴⁾، والمسك⁽⁵⁾ والكافور⁽⁶⁾،

(1) علي، عز الدين يونس حسن: البندقية وأثرها في العلاقات بين الشرق والغرب (487-4691/1095-1291م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس سنة 2005م، ص 80.

(2) بينز، نورمان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1950م)، ص 129.

(3) القرفة: قشرة شجر، وأشهرها القرفة السيلانية والقرفة الصينية = مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التعليم (القاهرة، 1994م)، ص 499.

(4) الزعفران: نبات بصلي مُعمّر منه أنواع برية = المرجع نفسه، ص 288.

(5) المسك: ضرب من الطيب يُتخذ من ضرب الغزلان = المرجع نفسه، ص 582.

(6) الكافور: شجرة تتخذ منها مادة رائحتها عطرية = المرجع نفسه، ص 486.

وجوز الطيب والرواند⁽¹⁾. أيضاً⁽²⁾، كذلك من ضمن المنتوجات الزراعية التي ازدهرت في الإمبراطورية البيزنطية البهارات، والقطن⁽³⁾. أيضاً من ضمن المحاصيل الزراعية المعروفة في الإمبراطورية زراعة الكروم التي كانت تحاط بسياجات شائكة وذلك من أجل حمايتها، أما البساتين التي انتشرت في أراضي الإمبراطورية فقد كانت تزرع فيها الخضر.

وعمل الصقالبة في المزارع منذ وقت طويل وذلك يعود إلى مدة حكم الأسرة الايسورية (99-205هـ/717-820م) وكان الهدف من تشغيلهم هو زيادة الإنتاج الزراعي، وكانت خطة الأباطرة لتحقيق هذا الهدف هو استصلاح الأراضي المهملة وقد نجحوا في مخططهم، حيث أن الإنتاج الزراعي في الإمبراطورية زاد بنسبة كبيرة⁽⁴⁾. وهذا كله إنما يدل على مدى اهتمام الأباطرة البيزنطيين وشعبهم بالزراعة منذ وقت طويل قبل حكم أسرة باليولوجوس.

2. الصناعة:

لقد ازدهرت الصناعة في الإمبراطورية البيزنطية في تلك المدة وقد كان هناك عدة فئات من الصناع، كل فئة اختلفت بصناعة معينة تختلف عن صناعة غيرها، والجدير بالذكر أن العنصر النسائي كان هو الغالب في فئة الصناع⁽⁵⁾. ومن بين الصناعات التي عرفها

(1) الرواند: هو نبات مائل للحمرة ورخو وفي طعمه لزوجه، وهو معروف عند الأطباء وينقسم إلى نوعان: الرواند الشامى والرواند الصينى = الغساني، أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم: حديقة الأزهار في ماهية الشعب والعقار، ترجمة وتحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي (تونس، 1990م) ص 278 - 279.

(2) عز الدين علي: المرجع السابق، ص 80.

(3) نورمان بينز: المرجع السابق، ص 162 - 163.

(4) الدينالي، نورا إبراهيم: الدولة البيزنطية في فترة حكم الأسرة الايسورية والعمورية (717-967م) دراسة تحليلية مقارنة، منشورات جامعية قاريونس (بنغازي، 2008) ص 261 - 262.

(5) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد اللواتي: تحفة النظار في غرائب الأمصار المعروفة برحلة ابن بطوطة، دار صادر (بيروت، 1964م) ص 350-351.

البيزنطيون في ذلك الوقت: الحرير، والمعادن النفيسة: كالماس، والذهب، والصابون، والحرير، والخمور⁽¹⁾. كما عرفوا صناعة الأحجار الكريمة والحلي النفيسة⁽²⁾.
أما فيما يخص الصناعات الحربية في الإمبراطورية فكان منها ما يخص الأسلحة الخفيفة كالسيف والرمح والخنجر والقوس... الخ، أما فيما يخص الأسطول فقد قام البيزنطيون بصناعة السفن المجهزة بالأسلحة مثل: القنابل الصغيرة والنار الإغريقية والمنجانيق والمدافع⁽³⁾.

3. التجارة:

ازدهرت الحركة التجارية في القسطنطينية ويعود ذلك إلى مهارة اليونانيين والأرمن والبيزنطيين أنفسهم، مما جعل العاصمة القسطنطينية المكان الذي يتصف بالثراء العالمي⁽⁴⁾.
وقد كانت القسطنطينية بؤرة التجارة فإلى موانئها كانت تفلح وتتجه العديد من السفن من كل أنحاء العالم آملين أصحابها في الربح، وقد ارتبطت الإمبراطورية بعلاقات جيدة مع الروس وسكان الدانوب، حيث أن الفراء والجلود تكثر هناك، ولكن يظل الشرق هو المورد الذي استمدت منه ثرواتها الرئيسية⁽⁵⁾.
ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية أيضاً بعلاقات تجارية قوية مع الإيطاليين وبخاصة مع البندقية، وهذه العلاقة كانت قبل اعتلاء ميخائيل الثامن عرش بيزنطة⁽⁶⁾.

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص 263.

(2) الراجحي، زكية عبدالسلام: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين، جامعة قاريونس (بنغازي، 2008م) ص 17.

(3) نورمان بينز: المرجع السابق، ص 180، 189.

(4) موس، ه. سانت ل. ب: ميلاد العصور الوسطى (395-814م)، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد والسيد العربي، عالم الكتب (القاهرة، 1967م) ص 160.

(5) طه عبيد: المرجع السابق، ص 261.

(6) المرجع نفسه، ص 261.

لقد كان البنادقة ينظرون إلى الإمبراطورية البيزنطية على أنها عائق في طريق تجارتها في البحر المتوسط؛ بحسب رأيهم أن هذا المشكل سيظل موجوداً، طالما ظلت القسطنطينية عاصمة لها، وعليه فقد رأى البنادقة بأنه يجب عليهم المشاركة في الحملة الصليبية الرابعة والتي كانت وجهتها في البداية مصر⁽¹⁾.

وقد أصبح دوق البندقية بعد سقوط القسطنطينية هو صاحب السيادة المطلقة على أهم المناطق والمراكز التجارية التي كانت تحت قبضة الإمبراطورية، بحيث أصبحت تحت سيطرته البحار الأربعة: مرمرة، والبحر الأسود، والإيجي والادرياتيكي، بالإضافة إلى حصول البنادقة على متاجر في شبه جزيرة القرم، وطرابزون، وكريت، وقبرص⁽²⁾.

بعد وصول ميخائيل باليولوجوس للحكم بدأ فصل جديد من فصول النشاط التجاري للإمبراطورية، وقد استفاد من ذلك الجنوبيون واعتبروه انتصار اقتصادي مهم بالنسبة لهم وبداية علاقة تجارية جيدة وستفتح لهم أبواب التجارة في الشرق في نفس الوقت أعطى هذا النصر للجنوبيون كل الحقوق التي كانت للبنادقة في السابق⁽³⁾.

قام الجنوبيون بعقد اتفاق مع ميخائيل مع علمهم بأن هذا سيؤدي إلى اضطراب العلاقة بينهم وبين كنيسة روما أي البابا بحكم أن الأخير يري أن اليونانيين سكان الإمبراطورية البيزنطية خارجون عن كنيسته إلا أنه عقدت المعاهدة بين الطرفين في 13 مارس (1261/هـ660م) وذلك في مدينة نيمفايوم (Nymphaeum) الواقعة بالقرب من مدينة

(1) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 343.

(2) جوزيف يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار النهضة العربية (بيروت، 1987) ص 242-243.

(3) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 285، 287.

أزمير⁽¹⁾، والجدير بالذكر أن المعاهدة قد أطلقت يد الجنوبيين في السيادة التجارية بعد أن كانت الامتيازات هذه ولمدة طويلة في يد البنادقة، ومن أهم هذه الامتيازات تلك التي حصلوا عليها في كريت وأيوبيا (Euboea) (نجروبونت) إذ تمكن ميخائيل من استعادتهما إضافة إلى ذلك امتيازات في القسطنطينية، وأزمير (Smyrre) ذات الأهمية بحكم وجود مينائها الكبير، وكذلك جزر خيوس ولسبوس، كما سمح لهم بإنشاء القنصليات والكنائس⁽²⁾.

4. العملة:

كانت العملة التي تمّ التعامل بها في المدة التي سبقت وصول آل باليولوجوس للحكم هي بيزات، وهي جمع بيزوم (Pesum) ومعناها الوزن الذهبية في مصطلح علم المسكوكات، وكانت الوزن الذهبية في الإمبراطورية البيزنطية معروفة القدر في جميع أنحاء العالم زمن العصور الوسطى، وهي قريبة من المثقال⁽³⁾.

وعلى الرغم من تدهور الأوضاع الاقتصادية في الإمبراطورية إلا أن النقود البيزنطية حافظت على قيمتها حتى نهاية العصور الوسطى⁽⁴⁾.

ثالثاً: الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي قبل عام (1261/هـ660م):

1. ظهور الدويلات المستقلة عن سلطة الخلافة العباسية:

شهد العالم الإسلامي في شطره الشرقي حالة من الفوضى والضعف والانحطاط قبل الاجتياح المغولي⁽¹⁾. ومرد ذلك ظهور بعض الدول المستقلة بشكل فعلي عن سلطة الخلافة

(1) أزمير: وهي مدينة بئر الترك في آسيا الصغرى أي في بر الأناضول وهي ذات تجارة واسعة برأ وبحراً = سليمان جاويش: المصدر السابق، 45/2.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص286-287.

(3) نورمان بينز: المرجع السابق، ص292.

(4) نورمان بينز: المرجع السابق، ص 292.

العباسية (132-656هـ/749-1258م) والتي كان ظهورها ناتج عن ضعف الخلفاء،
والمؤامرات والدسائس والفتن التي أحيكت ببلاط - الخلافة من الداخل والخارج⁽²⁾. وضعف
عصبية الدولة - ومنافسة العلويين، وضعف قيمة العهد⁽³⁾، ومن أهم الدول التي ظهرت في
تلك المدة الدولة الخوارزمية التي انفصلت عن الدولة السلجوقية⁽⁴⁾. والتي سيأتي الحديث عنها
بعون الله تعالى فيما بعد⁽⁵⁾.

تعود جذور الدولة الخوارزمية إلى حوالي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي
في عام (408هـ/1017م) على أيام السلطان محمود الغزنوي (387-421هـ/997-1030م)
أحد أبرز سلاطين الدولة الغزنوية⁽⁶⁾، حيث تم تعيين التونتاش أحد أصحابه على خوارزم⁽⁷⁾،
باعتبارها تابعة للدولة الغزنوية ويسمى الأشخاص الذين يحكمون هذا الإقليم بالخوارزمشاهيين
نسبة إلى خوارزم⁽⁸⁾. يعتبر محمد خوارزم شاه بن انوش تكين⁽¹⁾، هو أول حكام الدولة
الخوارزمية، وقد كان أديباً وعرف عنه حسن التصرف والتدبير⁽²⁾.

-
- (1) المغول: هم قوم غزاة ذو أصول تركية كانوا يسكنون أطراف الصين = ابن الأثير، عزالدين علي بن أبو الكرم: الكامل في تاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت، 2003م) 401 / 10.
 - (2) الزوي، آمال سليمان عبدالحميد: التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمغول على المشرق الإسلامي (61-720هـ/ 1218 - 1320م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس سنة 2001، ص5.
 - (3) الخضري، محمد بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة، بدون تاريخ) ص 487، 504.
 - (4) الدولة السلجوقية: يعتبر طغرليك بن ميكائيل بن سلجوق بن تقان هو المؤسس لهذه الدولة بعد أن هزم الدولة السامانية وكان ذلك في عام (432هـ/1060م) = ابن الأثير: المصدر السابق، 8 / 236.
 - (5) آمال الزوي: المرجع السابق، ص5.
 - (6) حلمي، أحمد كمال: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ذات السلاسل (الكويت، 1986م) ص99، 113.
 - (7) خوارزم: ليس اسم لمدينة بل لناحية بجملتها وهي الهضبة الجرجانية = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 2/395.
 - (8) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص113.

أيضاً من ضمن الدول المعروفة آنذاك دولة السلاجقة وقد بدأ ظهورهم في المشهد السياسي الإسلامي في عصر زعيمهم شاهنشاه المعظم طغرليك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق باعتباره أول من تدخل في أمور السياسة الخاصة بالخلافة العباسية⁽³⁾، حيث تمكن من هزيمة الدولة الغزنوية التي قامت في بلاد غزنة بالمشرق الإسلامي⁽⁴⁾.

وقد حدث ذلك في معركة سرخس عام (429هـ / 1037م) والتي من نتائجها سيطرة السلاجقة على نيسابور وإعلانها عاصمة لهم وبذلك ثبت نفوذهم⁽⁵⁾. واستطاعوا بعدها انتصار مهم في ملاذكرد في عصر السلطان ألب ارسلان على الإمبراطورية البيزنطية في عصر إمبراطورها رومانوس الرابع ديوجينوس عام (463هـ / 1071م)، وبعد كل هذه الأحداث رأى الخليفة العباسي القائم (422-467هـ / 1031-1075م)⁽⁶⁾، أنهم خير من يمكن الاعتماد

-
- (1) محمد خوارزم: هو محمد بن أنوشتكين، كان أبوه مملوك لأمير من السلجوقية اسمه بالكباك كان يتصف بالعلم وحسن الأدب وقد تلقب بعد توليه خوارزم بأمير خراسان = ابن الأثير: المصدر السابق، 10/9.
 - (2) أبو الفداء، عمادالدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب وآخرون، دار المعارف (القاهرة، بدون تاريخ) 2/ 209.
 - (3) حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية العائدة للعصور العباسية المتتالية (647-656هـ / 861-1258م) دراسة نصوص، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1978م) ص 422.
 - (4) فوزي، فاروق عمر: الخلافة العباسية السقوط والانهايار، دار الشرق، (عمان، 1998م) ص 162-163. كذلك أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 99.
 - (5) فاروق فوزي، المرجع السابق، ص 162 - 163.
 - (6) الصلابي، علي محمد: دولة السلاجقة، مؤسسة أقرأ (القاهرة، 2006م) ص 75-79، كذلك فاروق فوزي: المرجع السابق، ص 165.

عليهم في التخلص من سيطرة البويهيين⁽¹⁾. الشيعة، الذين استبدوا بمقاليد الخلافة، وقد استجاب السلاجقة للخليفة وزحف على بغداد واستطاع هزيمة البساسيري⁽²⁾ وهيمن على بغداد⁽³⁾.

وبالرغم من استمرار الدولة السلجوقية إلا أن السلاجقة انقسموا على أنفسهم بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان عام (1117/511م)، حيث ظهر وقتها عدد من السلاطين المستقلين عن سلطان السلاجقة⁽⁴⁾. ومن بين هؤلاء السلاطين أولئك الذين ظهرُوا في إيران وبذلك بدأ عصر دولة سلاجقة إيران. وفي حقيقة الأمر كان السبب في انفصال دولة سلاجقة إيران هو الصراع الذي حدث بين سنجر حاكم خراسان⁽⁵⁾. وابن أخيه محمود البالغ من العمر أربعة عشر عاماً والذي خلف والده بعد وصية تركها له ولقد أقره الخليفة العباسي القائم على ذلك وبدأت الخطبة تقرأ في بغداد باسمه، وقد عارض سنجر ذلك حيث اعتبر نفسه الوارث الشرعي للسلطنة، وقد دخل في صراع مع سلاجقة إيران حيث كان ذلك في عام (1119/513م)، وانتهى الصراع بانتصار سنجر الذي اعترفت به الخلافة العباسية سلطاناً على السلاجقة، وقد جعل سنجر من محمود ولياً للعهد وأتابه عنه وجعله حاكماً للعراق، وقد اعترفت به الخلافة العباسية سلطاناً للسلاجقة، وبذلك عادت وحدة دولة السلاجقة، حتى توفي

(1) البويهيين: دولة أسسها علي بن بويه والذي استطاع أن يُسيطر على بلاد فارس وبنال رضا الخليفة المستنقفي، وأضعفت سلطة الخلفاء العباسيين في المدة من (334-447هـ/945-1057م) حتى قضى عليها طغرل بك = أبو الذهب، أشرف طه: المعجم الإسلامي، دار الشروق (القاهرة، 2002م)، ص141.

(2) البساسيري: هو أبو الحارث ارسلان بن عبدالله البساسيري التركي، مقدم الأتراك ببغداد وهو الذي خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد، ثم قام بإخراجه من بغداد، ودعي للمستنصر العبيدي صاحب مصر = ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، بدون تاريخ) 192/1.

(3) فاروق فوزي: المرجع السابق، ص 163، 166، كذلك طقوش، محمد سهيل: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النفائس (بيروت، 2008) ص 31.

(4) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص69.

(5) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وتشمل على أمهات من البلاد نيسابور وهرات ومرو = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 350/2.

عام (552هـ/1157م)، وبعد وفاته عاد انقسام دولة السلاجقة وقطعت الخطبة له في بغداد، واستمرت دولة السلاجقة في إيران قائمة حتى عام (589هـ/1192م) حيث قضى عليها الخوارزميون⁽¹⁾، ولقد ظهرت دولة السلاجقة في العراق مرة أخرى بعد انفصالها عن دولة سلاجقة خراسان، ويعتبر السلطان محمود وهو أول سلاطين السلاجقة في هذه المرحلة وقد كان في حوالي الرابعة عشر آنذاك وبتوليته يمكن اعتبار أن البداية الفعلية للدولة قد بدأت فعلاً⁽²⁾، وبعد وفاته في همذان⁽³⁾ عام (525هـ/1130م)⁽⁴⁾ استفحل الصراع على السلطة بين أمراء السلاجقة في العراق⁽⁵⁾.

لقد استمر وجود دولة السلاجقة في العراق على الرغم من كل ما سبق وقد تولي طغرل بن ارسلان (طغرل الثالث)، الحكم في عام (571هـ/1175م) بعد وفاة أبيه، وقد وقع تحت سيطرة رجال البلاط باعتباره طفلاً ليس له دراية كافية بأمر الحكم وفي عام (590هـ/1194م) استطاع الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م)، القضاء على الدولة السلجوقية في العراق⁽⁶⁾.

(1) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 53، 68، كذلك فاروق فوزي: المرجع السابق، ص 165.

(2) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 69 - 70.

(3) همذان: تقع في بلاد فارس تم افتتاحها في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عام (624هـ/24م) = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 410/5.

(4) الجمل، محمد عبدالمنعم: الدولة الإسلامية المستقلة في المشرق التاريخ والحضارة، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2002م) ص 359.

(5) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 72.

(6) فاروق فوزي: المرجع السابق، ص 185 - 203.

لم يقتصر وجود دويلات منفصلة للسلاجقة عن سلطة بغداد أو بالأحرى مركز سلطة الخلافة على خراسان والعراق فقد قامت دولة للسلاجقة في كرمان⁽¹⁾ وهم ينتسبون إلى عمادالدين قره ارسلان قاورد بن جغري بك داود بن ميكائيل، الذي استمر في الحكم حوالي اثنتان وثلاثون عاماً، وقد استطاع القاورديون أن يسيطروا نسبياً على الإقليم بداية من عام (1063/هـ455م)، كما استطاعوا أن يسيطروا على شيراز⁽²⁾، وتمكنوا أيضاً من بسط نفوذهم على الديالمة الذين تعود جذورهم إلى شمال الهضبة الإيرانية، ولقد استمر وجود دولة سلاجقة كرمان حتى قضى عليها دينار أحد ملوك الغزّ وهم من القبائل التركية في عام (1187/هـ583م)⁽³⁾.

أما الدولة الأخرى التي أسسها السلاجقة فقد كانت في بلاد الشام وينتسب مؤسسوها إلى تاج الدولة تنتش بن ألب ارسلان، وتمّ تأسيسها عام (1077/هـ470م) عندما سيطر تنتش على دمشق وحلب، وقد خضعت له العديد من المناطق بما في ذلك همذان وغيرها وقد استمر وجود الدولة حتى عام (1117/هـ511م)، حيث تم القضاء عليها من قبل واتابكة بوري⁽⁴⁾ وأمراء ارتقي⁽⁵⁾ في ذلك الوقت⁽⁶⁾.

-
- (1) كرمان: ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 454/4.
 - (2) شيراز: بلد عظيم مشهور معروف يقع في بلاد فارس = المصدر نفسه، 340/3.
 - (3) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 81، 85، كذلك كوبريلي، محمد فؤاد: قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد سعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1980م) ص 72.
 - (4) اتابكة بوري: وقد أسس دولتهم أبو منصور طغتكين في بلاد الشام، وهي الدولة المعروفة بدولة بني طغتكين = القرماني: المصدر السابق، 479/2.
 - (5) أمراء ارتقي: نسبة إلى دولة بني ارتق ملوك ماردين وديار بكر وتنسب هذه الدولة إلى ارتق بن أكسب، وقد كان من ممالك السلطان ملكشاه السلجوقي = القرماني: المصدر نفسه، 469/2.
 - (6) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 94-95.

أخيراً فيما يخص موضوع السلاجقة يجب التطرق لدولة سلاجقة الروم والتي تعتبر أهم من نظيراتها، حيث أن هذه الدولة استطاعت أن تثبت أركانها في بدايات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد استطاعت فرض سيطرتها على العديد من المناطق في آسيا الصغرى⁽¹⁾، وسأطرق بعون الله في الفصل القادم بشكل تفصيلي لأحوال هذه الدولة وعلاقتها بالإمبراطورية البيزنطية.

أيضاً من ضمن المشاكل التي كانت تعاني منها البلاد الإسلامية أتباع الفرقة الإسماعيلية⁽²⁾، في إيران الذين عرفوا بشراستهم في القتال وبأنهم مفسدون في الأرض، دخلوا في صراع مرير مع سلاطين السلاجقة وعانت منهم حتى الخلافة العباسية⁽³⁾.

أما فيما يخص الدويلات والجماعات المستقلة عن سلطة الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي سأطرق للدولة الغزنوية السالفة الذكر والتي ازداد نفوذها بعد اقتسامهم والسلاجقة أملاك الدولة السامانية ويعتبر السلطان محمود الغزنوي أهم سلاطينها وقد دخلت في صراع طويل مع السلاجقة انتهى بهزيمة الأولى في معركة دندانقان كما ذكرت سلفاً حيث أن السلطان محمود وخلفائه من بعده لم يفكروا بعدها أبداً في مواجهة السلاجقة⁽⁴⁾.

أما فيما يخص أوضاع العالم الإسلامي في مصر وبلاد المغرب والأندلس فلم تكن الأوضاع أفضل من نظيراتها في المشرق، فبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام (589هـ/1193م) مؤسس الدولة الأيوبية التي حكمت في مصر والشام انقسمت الدولة على

(1) محمد كوبريلي: المرجع السابق، ص 62-63.

(2) الإسماعيلية: هي إحدى فرق الشيعة، وقد امتازت عن الموسوية وعن الاثنى عشرية، بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق = الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبو أحمد: الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة (بيروت، 1993م) 226/1.

(3) آمال الزوي: المرجع السابق، ص 6-7.

(4) فاروق فوزي: المرجع السابق، ص 163.

نفسها بسبب تقسيم أملاك الدولة بين رجالاتها، بل وقد دخلوا في صراع مع بعضهم مثل الذي حدث بين أبناء صلاح الدين العزيز عثمان الذي استقل بحكم مصر وأخيه الأفضل نور الدين الذي كان يحكم دمشق وحمص وبعليك وبنياس والقدس وحب اللتين اللاتي يقهن ببلاد الشام⁽¹⁾.

على الرغم من عودة وحدة الدولة الأيوبية في وقت لاحق وبالتحديد في عصر الملك العادل أبوبكر بن أيوب شيركوه (596-615هـ/1199-1218م) إلا أن الاضطراب استمر في الدولة حتى عام (648هـ/1250م) عندما قتل المماليك تورانشاه آخر سلاطين الدولة⁽²⁾.

أما في بلاد المغرب الإسلامي فقد كانت القوة الصاعدة تتمثل في الموحدين (525-674هـ/1130-1275م) ويعتبر محمد بن تومرت⁽³⁾. من أبرز حكامها وهو الذي استغل الأوضاع الصعبة التي تمر بها الكيانات السياسية في المنطقة وبخاصة دولة المرابطين التي أسست في المغرب الأقصى وعاصمتها مراكش⁽⁴⁾، ليقوم بعدها بإخضاع كثير من الأراضي في بلاد المغرب وكذلك الأندلس⁽⁵⁾.

-
- (1) العسيلي، بسام: المظفر قطز، وعين جالوت، دار النفائس (بيروت، 1980م) ص 22-23، كذلك ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية (بيروت، بدون تاريخ) 342/7.
 - (2) المنصوري، بيبس: مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية سنة (702هـ/1302م) تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1993م) ص 5-8.
 - (3) محمد بن تومرت: ينتمي إلى هرغة بن بطون المصامدة واسمه الحقيقي محمد بن أبو عبدالله بن وجليد بن بامصال ولقب بالمهدي = ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، 2000م) 301/6.
 - (4) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت، 1997م) ص 235، 332. كذلك الغنای، مراجع عقيلة: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1988م) ص 37.
 - (5) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفني يروفنسال، دار الثقافة (بيروت، 1983م) 107/4-108.

2. سقوط الخلافة العباسية:

من خلال ما سبق أتضح الضعف الذي تعاني منه الخلافة العباسية، وكان المغول يدركون كل ما تعاني منه البلاد الإسلامية من انقسام فقرروا الهجوم على عاصمة الخلافة العباسية أُنذاك ألا وهي بغداد، وقد بدأ زحفهم إليها بقيادة هولالكو⁽¹⁾ في عام (656هـ/1258م)⁽²⁾.

لقد قام الخليفة العباسي في هذه الأثناء بتجهيز جيش للتصدي لهذا الزحف، ولكن جيشه هُزم هزيمة نكراء وقتل وهلك العديد من أفرادهِ واستطاع بعدها جيش هولالكو الوصول إلى مدينة بغداد في شهر صفر سنة 656هـ/ الموافق يناير 1258م⁽³⁾، ولم تكن هناك أي قوة يمكن الاعتماد عليها في التصدي لهذا الغزو، حيث أن الدويلات الإسلامية المستقلة هي التي كانت تحكم تلك الأراضي وليس الخليفة فعلى سبيل المثال أقرب منقطة وهي بلاد الشام كانت واقعة تحت سيطرة خلفاء صلاح الدين الأيوبي⁽⁴⁾.

(1) هولالكو: هو هولالكو بن تولى بن جنكيزخان، قام بالزحف على العالم الإسلامي اجتاحت مدينة بغداد = أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 1995م) ص58، كذلك الكبتي، محمد بن شاكِر: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، بدون تاريخ) 240/4.

(2) فاروق فوزي: المرجع السابق، ص 256، 260.

(3) المرجع نفسه، ص 261.

(4) حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني، دار الجبل (بيروت، 1996م) 294/4-295.

استطاع جيش هولاءكو تدمير الأسوار الشرقية للمدينة بعد التركيز على تلك الناحية، وفي شهر فبراير تمكّن المغول من اجتياح المدينة وقام الخليفة العباسي الأخير المستعصم⁽¹⁾ (640-656هـ/1242-1258م) بتسليم نفسه لهولاءكو⁽²⁾ الذي قام بقتله وأبنائه، واستباح جنده دماء الناس، حيث أنهم قتلوا عدد هائل من سكان بغداد، وهكذا سقطت الخلافة العباسية في السنة المذكورة⁽³⁾.

قام هولاءكو بعدها بعبور نهر الفرات واستطاع السيطرة على بلاد الشام وفرّ الأمراء الأيوبيون الذين كانوا يتقاسمون المدن فيما بينهم، وبذلك انتهى عصر السلطنة الأيوبية⁽⁴⁾.

بعدها أرسل "كتبغا" قائد قوات هولاءكو بعد رحيل الأخير - نتيجة لوفاة أخيه الخان الأكبر - أرسل رسالة تهديد إلى المماليك الذين كانوا يحكمون مصر بعد شجرة الدر⁽⁵⁾، وقد كان المظفر قطز⁽⁶⁾ هو السلطان وقد قام الأخير بقتل الرسل وجهز جيشاً وأتجه به إلى بلاد

(1) المستعصم بالله: هو عبدالله أبو أحمد بن المستنصر تولى الخلافة بعد أبيه وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد = القرمانلي: المصدر السابق، 194/2.

(2) بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 105، كذلك الكبي: زهير: موسوعة خلفاء المسلمين، دار الفكر العربي (بيروت، 1994م) ص 228.

(3) حسن حسن: المرجع السابق، 295/4.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، 436/5.

(5) شجرة الدر: هي زوج الملك الصالح نجم الدين أيوب، تولت حكم مصر في سنة (648هـ/1250م) = ابن إياس، محمد بن احمد: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب (بدون مكان، 1960م) ص 73.

(6) المظفر قطز: هو الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي هو ثالث السلاطين المماليك تولى الحكم عام (657هـ/1258م) بعد الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز عز الدين أبيك = القرمانلي: المصدر السابق، 268/2 - 269.

الشام وإلتقى بالنتار في عين جالوت عام (659هـ/1260م) واستطاع قطز وجنده أن يلحقوا الهزيمة بالمغول في هذه المعركة⁽¹⁾.

رابعاً: الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي:

لا طالما كانت الأحوال الاقتصادية من العوامل المؤثرة على حياة أي دولة، وهذا ينطبق أيضاً على الدولة الإسلامية التي كانت قائمة قبل سقوط الخلافة العباسية في بغداد، وذلك لارتباط السياسة بالاقتصاد كثيراً في هذه المدة الزمنية، فقد شهدت عناصر الحياة الاقتصادية الزراعة والصناعة والتجارة عدة تغييرات بسبب تدهور الأحوال في البلاد الإسلامية، وفيما يلي عرض لكل عنصر.

1. الزراعة:

كانت الزراعة هي مصدر الرزق الأول لدى العديد من السكان في شرق العالم الإسلامي، ولذلك كانت الدولة تُركّز بشكل كبير في تحصيل ضرائبها على هذا المورد، وقد عمل العباسيون والخوازميون على سبيل المثال على مساعدة الفلاحين وذلك عندما قاموا بتطوير الري وتنظيمه، بالإضافة إلى اهتمامهم بالترع والسدود⁽²⁾، وكذلك قاموا بإنشاء المدارس الزراعية، وذلك من أجل دراسة أنواع النباتات، وما مدى صلاحية التربة لزراعة كل نوع على حدى، وأيضاً قد عملوا على فلاحه البساتين وفق دراسة علمية، وادخلوا الأسمدة في الزراعة كذلك استخدموا الأبقار في الحرث⁽³⁾.

ظهرت عدة مزروعات في البلاد الإسلامية آنذاك ومن أهمها الحنطة التي لم تقتصر زراعتها على إقليم معين، ويعود ذلك إلى توفر المياه في أماكن عديدة مثل: مصر والعراق،

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية (القاهرة، 1976م) ص 31، 34.

(2) أمال الزوي: المرجع السابق، ص 29.

(3) حسن حسن: المرجع السابق، 368/4.

وأيضاً الذرة التي زرعت في جنوب البلاد العربية على سبيل المثال في النوبة، أما فيما يخص قصب السكر فقد زرع في مصر وبلاد الشام والعراق وكذلك كثرت زراعة الليمون في الأولى⁽¹⁾.

أما فيما يخص بلاد المغرب فقد عرف أهله عدة محاصيل زراعية: كالقمح والشعير والزيتون والأرز والزعفران والقطن وغيرها. أما الأندلس فقد ظهرت فيها زراعة قصب السكر والحنطة والقطن والزعفران وغيرها من المنتجات الزراعية ولكنها على عكس بلاد المغرب لم يتم إدخال أي منتجات جديدة للبلاد بل أن المحصول قل ولم يزد⁽²⁾.

عرفت البلاد الإسلامية نظام الإقطاع الذي انتشر بشكل واضح منذ بداية سيطرة الأتراك على مقاليد الخلافة في عام (232هـ / 846م) حيث أنهم قاموا باقتطاع عدد من الأراضي لبعض من الجند، وقد حددَّ الخراج على هذه الأرض بناءً على فتوى أصدرها الفقهاء وهو العشر⁽³⁾، وكل أرض مقطّعة تعود إلى ملكية الخلافة في حالة تمّ مصادرتها لأي سبب من الأسباب، وفي الواقع إن نظام الإقطاع لم يكن خالياً من العيوب، فعلى سبيل المثال يقوم صاحب الإقطاع بإتقال كاهل العاملين بالضرائب حتى يستطيع تأدية المبلغ المطلوب منه والذي اتفق عليه سلفاً مع الدولة، وهذا بالطبع يحول دون أن يتمكن العاملون من توفير بعض المال من أجل تحسين وضعهم المادي⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، 369/4.

(2) موسى، عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق (القاهرة، 1993م) ص 193-197.

(3) العشر: هو جزء من عشرة أجزاء يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها = المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ص 206.

(4) أيوب، إبراهيم: التاريخ السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب (بيروت، 1989م) ص 241-242.

2. الصناعة:

شهد العالم الإسلامي ازدهاراً كبيراً في العصر العباسي وهذا لم يكن محصوراً أو مقتصرًا على إقليم معين من أقاليم البلاد، وذلك مرجعه توفر موارد الثروة المعدنية بشكل كبير فعلي سبيل المثال: تم استخراج النحاس والفضة والكبريت من إقليم فراسان⁽¹⁾.

ظهرت في البلاد المصرية صناعة الكتان وأيضاً صناعة النسيج، وتم تصدير جزء من المحصول إلى الصين وتعتبر مرو ونيسابور من أهم مراكز صناعته، وبرزت في مصر كذلك صناعة المنسوجات الحريرية التي برع فيها المصريون بشكل واضح، وأما صناعة الملابس والفرش فقد ازدهرت في بلاد ما وراء النهر وأرمينيا⁽²⁾.

أما فيما يخص بلاد المغرب فقد كان الحكام ينظرون إلى الصناع على أنهم خدم الدولة، فقد برزت عندهم الصناعات ومن أهمها: صناعة النسيج والورق الذي كان يصنع من الكتان والقطن وأهم مراكز صناعته كانت في بعض نواحي تونس وفاس⁽³⁾. كذلك برزت في بعض مناطق تونس صناعة النسيج بالإضافة إلى الثياب ذات الجودة الفائقة⁽⁴⁾.

أما فيما يتعلق ببلاد الأندلس فقد ظهرت عدد من الصناعات وأهمها: صناعة القطن والفضة والذهب والرخام الأبيض والأحمر وصناعة الأسلحة ومنها: الرماح والتروس والسفن

(1) إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 242.

(2) حسن حسن: المرجع السابق، 372/4.

(3) فاس: هي عبارة عن مدينتان متفرقتان بينهما نهر وهي تقع غربي عدوة الأندلس وأسست فاس في عهد إدريس بن إدريس بن عبدالله الحسن بن الحسن بن علي بن أبو طالب عام (193هـ/793م) = البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى (بغداد، بدون تاريخ) ص 115، 118.

(4) أبو مصطفى، كمال السيد: جوانب من الحياة الاقتصادية والدينية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 1996م) ص 67-68.

الحربية وغيرها من الصناعات الحربية، وقاموا باستخراج الزيت من الزيتون وبعض العقاقير من النباتات⁽¹⁾، هذه أهم الصناعات التي عرفها المسلمون في بلدانهم آنذاك.

3. التجارة:

لم يؤلوا المسلمون جهداً من أجل الاهتمام بالتجارة والتجار، وذلك بتوفير المياه في الطرق التجارية، بالإضافة إلى أنهم حافظوا على سلامة التجار وبضائعهم أثناء تنقلهم بحراً⁽²⁾. وقد كانت بغداد ودمشق من أهم الأسواق، حيث أن الأخيرة كانت من أهم المراكز بالنسبة لتجارة القوافل التي تأتي من آسيا الصغرى، وقد عمل الخلفاء العباسيون على الاهتمام بالطرق سواء كانت برية أو بحرية وهذا بدوره سهل عملية التجارة مع الأطراف الخارجية، وقد كانت شعوب آسيا وأوروبا مرتبطة بدرجة كبيرة بالبضائع التي مصدرها المناطق العربية المطلة على سواحل البحر الأحمر والخليج العربي، كما أن العرب قد أقاموا محطات تجارية في الأندلس هذا ولم تقتصر العلاقات التجارية للعرب على الأندلس فحسب بل أقاموا علاقات أيضاً مع الهند، حيث أن التجار الهنود كانوا يأتون إلى البلاد العربية لبيع وشراء البضائع⁽³⁾.

كانت هناك عدة طرق تجارية رئيسية تربط الشرق بالغرب من أهمها:

1. الطريق الذي يمتد من بروفانس بفرنسا ويمر ببغداد والهند وينتهي بالصين.
2. الطريق الشمالي (طريق الحرير) الذي يمر بموطن الروس ثم بحر قزوين ثم مرو⁽⁴⁾ وسمرقند⁽⁵⁾ وينتهي في الصين.

(1) حسن حسن: المرجع السابق، 379/4.

(2) المرجع نفسه، 379/4.

(3) حسن حسن: المرجع السابق، 381/4.

(4) مرو: هي أشهر مدن خراسان وقصبتها = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 112/5.

(5) سمرقند: ويقال لها بالعربية سمران، بلد معروف مشهور يقع في بلاد ما وراء النهر = المصدر نفسه،

3. الطريق الذي يربط الشرق بالغرب مروراً بمصر .

4. الطريق الذي يبدأ بالأندلس ويمر بشمال أفريقيا ثم مصر ثم العراق، وفارس، والهند

وأخيراً الصين⁽¹⁾ .

عرفت بلاد المغرب وبالتحديد في المدة الأخيرة من حكم المرابطين فرض العديد من الضرائب على التجار حيث أنها شملت كل السلع وقد كانت الضرائب تدفع تارة من المشتري وتارة من البائع، وكانت كل هذه الضرائب تجمع في الغالب بالقوة والشدة، مع الأخذ في الاعتبار أن جباتها كان بعضهم يأخذ من التجار أكثر من المبلغ المتفق عليه مع الدولة مستغلين عدم وحدة المكايل والموازن، ولقد أقام المرابطون علاقات تجارية مع البلدان المجاورة حيث أقاموا علاقات تجارية جيدة مع السودان ومع بلدان البحر المتوسط بما في ذلك صقلية والمدن والايطالية جنوه - بيزه - البندقية وفي العصر الموحي ا زدهرت التجارة الداخلية؛ وذلك لتشجيع الدولة لها وعنايتها بالأمن وتخفيف الإلتزامات المفروضة على التجار وبالتحديد تلك التي فرضت في نهاية عصر المرابطين بالإضافة إلى أنها أقرضت العديد من الناس أموالاً، بعد أن تتفق مع المقترض، كذلك اهتموا بالطرق، وعملوا على انتظام تسليم الرواتب حتى تكون الأسواق عامرة طوال الوقت هذا فيما يخص التجارة الداخلية أما الخارجية فقد واجهتها عدة صعوبات وعراقيل وبخاصة في التجارة مع السودان، ولم تكن علاقات الموحيين مع الشعوب الأوروبية جيدة وذلك بسبب حروبهم الدائمة مع النصارى في إسبانيا⁽²⁾ .

4. العملة:

(1) حسن حسن: المرجع السابق، 4 / 383 - 385.

(2) عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 267-274.

لم تكن هناك عملة موحدة يتعامل بها المسلمون في المدة التي سبقت سقوط بغداد فعلى سبيل المثال تعامل السكان في بغداد بالدينار الذي كان يساوي أربعة عشر درهماً والدرهم وهو، دوانق والدانق اثني عشر قيراطاً⁽¹⁾. أما فيما يخص بلاد المغرب في عصر المرابطين فقد تعاملوا بالدينار الذي كان يعرف بالمتقال الذهبي⁽²⁾.

هذه هي طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية عند المسلمين الذين دخلوا في علاقات قوية مع الإمبراطورية البيزنطية تأرجحت هذه العلاقة ما بين السلم والحروب ولكن في غالبيتها اتسمت بالجانب الحربي مثل علاقتهم مع سلاجقة الروم المسلمين (وهو بعون الله موضوع الدراسة في الفصل القادم).

في خريطة هنا

(1) إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 247.

(2) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 76.

الفصل الثاني

العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة سلاجقة الروم

أولاً - قيام دولة سلاجقة الروم واصطدامها بالبيزنطيين
1- نشأة الدولة

2- العلاقات البيزنطية السلجوقية قبل عام (659هـ / 1261م)

ثانياً - العلاقات البيزنطية السلجوقية في المدة من (660-699هـ / 1261-
1300م)

ثالثاً - الآثار المترتبة عن العلاقات البيزنطية السلجوقية
1- الآثار السياسية

أ - استنزاف قوة الطرفين

ب- سيطرة المغول على العديد من المناطق في آسيا الصغرى

ج- تترك الأناضول

2- الآثار الاقتصادية

أ- بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية

ب- بالنسبة لدولة السلاجقة

3- الآثار الاجتماعية

أ- بالنسبة للجانب البيزنطي

ب- بالنسبة للجانب السلجوقي

لم تتمكن دولة السلاجقة من المحافظة على وحدتها مما أدى إلى انقسامها إلى عدة دويلات مستقلة ذات توجهات سياسية مختلفة، وكل دولة منها كان لها تاريخاً خاصاً بها، ولكن ما يخص موضوع هذه الدراسة، هو ما يتعلق بدولة سلاجقة الروم التي أسسها سليمان بن قطلمش بن إسرائيل بن سلجوق، الذي امتد حكمه ما بين عامي (470-475هـ/1077-1082م)⁽¹⁾.

أولاً: قيام دولة سلاجقة الروم واصطدامها بالبيزنطيين (455هـ/1063م):

1. نشأة الدولة:

ظهرت هذه الدولة عندما انفصل أبو الفوارس قطلمش بن إسرائيل بالأراضي التي يحكمها نيابة عن طغرلبك في الموصل والشام وديار بكر، وذلك عقب وفاة طغرلبك وتولي ألب ارسلان الحكم، وقد كان ذلك في عام (455هـ/1063م)، ولكن ما لبث أن قتله ألب ارسلان الذي كاد أن يقضي على أسرته بالكامل لولا تدخل نظام الملك⁽²⁾، الذي استطاع أن ينتزع لقب الإمارة من أسرته، على أن يتلقب كل من يتولى حكم المناطق التي كان يحكمها بلقب سيهسالار وبعدها قام نظام الملك بتدبير مكيدة تمكن من خلالها من إبعاد أنظار رجال هذه الأسر عن الاستقلال بالأراضي التي كانت أسرهم تحكمها فقد تم وضع جيش كبير تحت إمرة سليمان بن قتلش، من أجل شغله بالعمليات العسكرية هو وباقي أفراد أسرته، وقد

(1) محمد الخضري بك: المرجع السابق، ص 418.

(2) نظام الملك: هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي، اشتغل بالحديث والفقهاء، اتصل بخدمة شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ ثم هرب إلى داوود بن مكائيل بن سلجوق والد ألب ارسلان = ابن خلکان: المصدر السابق، 2/ 128.

توجهوا إلى بلاد الشام، واستطاع سليمان ومن معه تحقيق العديد من الانتصارات في تلك المنطقة، وتمكنوا من السيطرة على مناطق واسعة هناك، وقد كفأهم آلب بتعيينهم حكاماً على المناطق المستحوذ عليها، وقد حدث ذلك في عام (471هـ / 1078م) ولم تمر ستة أعوام حتى ذاع صيت سليمان وبخاصة بعد تمكنه من تحسين قدرة جيشه العسكرية⁽¹⁾.

ساعت الأمور بين سليمان بن قطلمش وتتش بن آلب ارسلان، مما أدى إلى انتحار سليمان بن قتلمش وقد كان ذلك في عام (479هـ / 1086م) فقام السلطان ملكشاة (465- 486هـ / 1073- 1092م) الذي تولى الحكم بعد آلب ارسلان باختيار داوود بن سليمان خلفاً لوالده ليتولى حكم المناطق التي كان يحكمها، ولقد امتاز بالشجاعة وحسن التصرف، وقد تمكن من هزيمة الإمبراطورية البيزنطية في عام (480هـ / 1087م)، وضم قونية⁽²⁾ إلى أملاك السلاجقة في آسيا الصغرى، وقد استمر في الحكم حوالي عشرين عاماً، وكانت وفاته في عام (500هـ / 1106م)⁽³⁾، وبعد أن تمكن السلاجقة من ضم قونية يمكن القول بأن دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى قد تم اكتمال تأسيسها.

2. العلاقات البيزنطية السلجوقية الروم قبل عام (660هـ / 1261م):

تميزت العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلاجقة الروم بالطابع العدائي حيث أن السلاجقة قاموا بتأسيس دولة ذات قوة كبيرة شكلت إحدى المراحل المشرفة في التاريخ الإسلامي أثناء مواجهة الخطر البيزنطي⁽⁴⁾.

(1) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 87- 88.

(2) قونية: هي من أعظم مدن الإسلام بأراضي الروم، الواقعة في آسيا الصغرى = ياقوت الحموي: معجم البلدان: المصدر السابق، 5/4، كذلك أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 87-88.

(3) أحمد حلمي: المرجع نفسه، ص 88.

(4) الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار أقرأ (بيروت، 1985م) ص 7.

بعد الانتصار الذي حققه السلاجقة على الإمبراطورية البيزنطية في موقعة ملاذكرد (463هـ / 1071م) إبان حكم آلب ارسلان اتضح أنه لا قدرة للبيزنطيين على مواجهة السلاجقة⁽¹⁾، أو بالأحرى يمكن القول بأنه طوال المدة التي تولى فيها السلطان السلجوقي ملكشاه حكم دولة السلاجقة أصبحت الأوضاع تسوء بالنسبة للبيزنطيين؛ وقد اتضح ذلك جلياً في الضيق والأزمة اللذين عانت منهما الكنيسة الأرثوذكسية التي تقع في بلاد الأناضول بالإضافة إلى المشاكل المتعلقة بالحجاج⁽²⁾.

في الحقيقة يعتبر انتصار السلاجقة على الإمبراطورية البيزنطية في ملاذكرد من الانجازات الباهرة للمسلمين في مجابتههم للإمبراطورية البيزنطية⁽³⁾، هذا الصراع الذي لم ينته على الرغم من بعض الهزائم التي تعرضت لها القوات الإسلامية فيما سبق على سبيل المثال هزيمة الأساطيل الإسلامية عام (99-100هـ / 717-718م) أثناء محاولتهم فتح العاصمة البيزنطية بقيادة مسلمة بن عبد الملك على الرغم من محاصرتهم لها سنة كاملة وأن الأسطول الإسلامي كان يتكون من 1800 سفينة⁽⁴⁾.

(1) محمد طقوش، المرجع السابق، ص49، كذلك محمد منصور: المرجع السابق، ص158 - 159.

(2) محمد منصور، المرجع السابق، ص 160.

(3) المرجع نفسه، ص 159 - 160.

(4) فرج، نعيم: الصراع العربي البيزنطي للسيطرة على البحر المتوسط في القرن الثامن للميلاد، مجلة الدراسات التاريخية، العددان التاسع والعاشر (دمشق، 1982م) ص 35، كذلك عمر توفيق ومحمود وعمران: المرجع السابق، ص 115 - 116، كذلك باربارو، نيقولو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية "يوميات الحصار العثماني 1453م" ترجمة: حاتم عبدالرحمن الطحاوي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة، 2002م) ص10.

لقد ترتب على انتصار السلاجقة على الإمبراطورية البيزنطية عدة نتائج مهمة من بينها: وقف تقدم البيزنطيين في آسيا الصغرى على الرغم من ضعف الجيش السلجوقي في تلك الآونة بل أنه أعطى الثقة للسلاجقة ليواصلوا هجماتهم على المناطق البيزنطية، وكذلك أعطى الفرصة لتجهيز الجيوش الإسلامية في الشام والعراق ومصر لمجابهة الخطر البيزنطي، أيضاً ساعد على إزالة الحصون والقلاع البيزنطية التي كانت في آسيا الصغرى بالإضافة إلى تنازل البيزنطيين عن إديعائهم فيما يخص أحقيتهم في الأراضي الخاضعة لسيطرة دولة السلاجقة، والجدير بالذكر أنه لولا هذا النصر الذي حققه على البيزنطيين في تلك الأثناء فلربما استمر الزحف البيزنطي في المنطقة بحيث أنه كاد أن يصبح عائقاً أمام توحيد جهود المسلمين أمام التحديات والمخاطر التي تحدق بهم من الخارج⁽¹⁾.

عقب الهزيمة التي تعرضت لها الإمبراطورية البيزنطية على يد السلاجقة -الذين أخذ نجمهم يسطع في ذلك الوقت- تم عقد مؤتمر كليرمونت في فرنسا عام (489هـ/ 1095م)، الذي هدف الإمبراطور البيزنطي اليكسوس كومنين (474-512هـ/ 1081-1118م) من ورائه إلى الحد من خطر دولة السلاجقة قبل أن يستفحل⁽²⁾.

(1) محمد الشيخ: المرجع السابق، ص 372 - 373، كذلك حمدي، خميس احمد ارحومة: أثر السلاجقة في العلاقات بين الشرق والغرب (429-657هـ/ 1073-1258م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس سنة 2006م، ص 83.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص 196 - 197، كذلك أسامة زيد والأمين أبو سعده: المرجع السابق، ص 469.

ولم تكن الإمبراطورية البيزنطية وحدها الراغبة في قيام حملة صليبية، إذ كانت البابوية أيضاً تريد ذلك، وقد وافقت على ذلك وبخاصة أنها رأت في الإمبراطورية خير سند في مشروعها الصليبي⁽¹⁾.

أقسم جميع الرجال المشاركين في الحملة الصليبية ما عدا تتكرد وريمون على أن يعيدوا كل كامل المناطق البيزنطية بعد تخليصها من قبضة السلاجقة إلى الإمبراطورية⁽²⁾، وهما اللذان كانا على رأس حشود النورمان الذين كانوا يستوطنون جنوب إيطاليا⁽³⁾، وقد أبدى البيزنطيون رغبتهم في المشاركة إلى جانب الصليبيين في هذه الحملة، وقد تمكّن الحلفاء من السيطرة على قونية، وكان السلاجقة يعملون على صد الهجمات عند هرقله؛ ولكن جهودهم لم تكفل بالنجاح واستطاعت الحملة الزحف على بلاد الشام، وبدأ في تلك المدة الغزو الصليبي لتلك المنطقة⁽⁴⁾.

لقد استمر الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية السلاجقة فيما بعد رغم الاضطراب والضعف الذي أصاب السلاجقة وبخاصة بعد أن هربّ اليكسوس الثالث (1195/592هـ - 1204م) إلى قونية التي عادت إلى حكم السلاجقة أثناء الحملة الصليبية الرابعة، وطلب مساندة السلاجقة في استرجاع حقه كولي شرعي - بحسب إدعائه - لعرش الإمبراطورية والتي أصبح مقرها نيقيا، وقد رفض ثيودور الأول لاسكاريس، ذلك مما

(1) حاجيات، عبد الحميد: الحملة الصليبية الأولى وأثرها في تطور العالم، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان 99 - 100 لسنة 1987م (بيروت، 1987م) ص 84.

(2) سعيد عاشور: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت، 1976م) ص 114.

(3) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 78.

(4) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص 114، 120.

أدى إلى نشوب معركة عنيفة بين الطرفين، أدت إلى هزيمة الجيش السلجوقي، وقد كان ذلك في عام (609هـ / 1212م)⁽¹⁾.

كان يحكم دولة سلاجقة الروم في ذلك الوقت عز الدين كيكاوس (609-610هـ/1212-1213م) الذي لم يستمر طويلاً في الحكم بسبب إصابته بمرض السل بعد أن أمضى عام واحد في سدة الحكم فتولى أمور السلطنة بعده أخوه علاء الدين كيقباد بن كيخسرو عام (610-636هـ / 1213-1238م) وقد اتسمت كل هذه السنوات بالاضطراب السياسي وكثرة الطمع، وفي عام (636هـ / 1238م) قتل علاء الدين بالسم على يد ابنه غياث الدين كيخسرو الذي تولى الحكم بعد أبيه واستمر في الحكم حتى توفى عام (644هـ / 1246م) بعد أن ترك ابنائه الذين نشب الصراع فيما بينهم على الحكم⁽²⁾. وبذلك بدأ الضعف يظهر بوضوح في دولة سلاجقة الروم على الرغم من استمرارها وانتهاء دول السلاجقة الأخرى⁽³⁾.

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص 219-220.

(2) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص 91-92، كذلك الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عمار معروف ويحيى هلال السرحان، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1985م) ص24.

(3) علي الشطشاط : المرجع السابق، ص27.

شكل رقم (1)

يوضح الشرق الأدنى العربي في أواخر القرن السادس الهجري أواخر القرن الثاني عشر الميلادي عن كتاب العرب والروم واللاتيني في الحرب الصليبية الأولى لجوزيف يوسف،

ص274

ثانياً: العلاقات البيزنطية السلجوقية في المدة من (660-699هـ/1261-1300م):

ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية في هذا العصر بعلاقات جيدة مع سلاجقة الروم وذلك من قبل أن يتولى ميخائيل الثامن باليولوجوس حكم الإمبراطورية، وقد اتضح ذلك جلياً أثناء مدة حكم ثيودور الثاني عندما كان ميخائيل الثامن شئون حكم نيقيا، فقد فرَّ الأخير عندما أخبره بعض أصدقائه بأن الإمبراطور يدير له عملية اغتيال، وعندما وصل ميخائيل إلى البلاط السلجوقي عمل ميخائيل بكل الوسائل على كسب ود البلاط السلجوقي⁽¹⁾، وتمكن من تحقيق هدفه وذلك عندما انتهاز فرصة الهجوم المغولي على الأراضي السلجوقية، وقام بتقديم خدمات للبلاط السلجوقي، وقد أظهر مهارة وكفاية سياسية على درجة عالية بحيث أنه أصبح يحظى بمكانه مرموقة في البلاط السلجوقي، وبعد أن تحسنت العلاقات بين ميخائيل والسلاجقة عمل الأول على توثيق الصلات بين الإمبراطورية والسلاجقة، وذلك من أجل فتح مسار جديد للعلاقات بين الطرفين وقد تحصل ميخائيل على عفو من الإمبراطور ثيودور الثاني، وهذا أدى إلى تصفية الأجواء بين الطرفين، والجدير بالذكر أن ميخائيل قام بخدمة جلييلة للإمبراطورية حيث أنه قام بفتح آفاق جديدة في العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والسلاجقة وهو ما يعرف بالعلاقات الودية السلمية والتي ظهرت لأول مرة بين الجانبين⁽²⁾.

بعد أن تمكن ميخائيل الثامن من استرجاع العاصمة القسطنطينية على النحو الذي أوردته في الفصل الأول، قام بعدة إجراءات تهدف إلى حماية أراضي الإمبراطورية وتسليح القوات المحلية في الشرق وتجهيزها بالمعدات والأسلحة؛ ولكن عندما شك في ولائهم جردهم

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص 36-37، كذلك طه عبيد: المرجع السابق، ص 221.

(2) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص 37.

من السلاح، وهذا كان من صالح السلاجقة الذين أعطوا حرية التصرف والتحرك في أراضي الإمبراطورية⁽¹⁾.

شهدت العلاقات البيزنطية السلجوقية في عصر ميخائيل الثامن فترات تقارب في وجهات النظر أو بالأحرى مصالح تكتيكية اقتضتها طبيعة الظروف التي تحيط بآسيا الصغرى؛ وليس أدل على ذلك من الموقف الإنساني الذي يتمثل في استقبال الإمبراطور ميخائيل اكيكوس الثاني في العاصمة البيزنطية الذي كان يحكم دولة سلاجقة الروم بالمشاركة مع ركن الدين قلعج ارسلان، وذلك بعد أن حدث صراع بينه وبين أخيه نتيجة اقتسام السلطة حيث فرَّ كيكوس إلى القسطنطينية ونزل ضيفاً على البلاط البيزنطي لينفرد أخيه بالحكم، وقد استقر كيكوس في القسطنطينية، وتمكن طوال هذه المدة من تحسين علاقته بميخائيل لدرجة أن الأخير قام بإعطائه مدينة دوبروجا التي تقع ما بين البحر الأسود ونهر الدانوب⁽²⁾، فتوجه كيكوس الثاني إلى هذه المدينة التي أعطيت له في شكل إقطاع، ومعه عدد كبير من أفراد قبيلته صلتق التركمانية، ولم يقتصر وجود التركمان في هذه المدينة على أبناء عمومته بل شملت الهجرات أيضاً بعض العناصر التركمانية الأخرى، ويعود الفضل لهذه الجماعات - التي زاد عددها عن العشرة آلاف مهاجر - في تثبيت دعائم التركمان في أوروبا والتي سيكون لها دوراً كبيراً في المنطقة في الفترات المقبلة وسأتعرض إلى ذلك بشيء من التفصيل بعون الله في الفصل الرابع⁽³⁾.

لم تستمر العلاقات الودية بين البيزنطيين والسلاجقة في عصر الإمبراطور ميخائيل الثامن وكيكوس الثاني وذلك بعد أن اشترك الأخير في مؤامرة دبرت من قبل الملك قسطنطين

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص 223.

(2) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 305 - 306.

(3) المرجع نفسه، ص 306 - 307.

تيش الذي كان يحكم البلغار عام (662هـ/1264م)، وعندما اكتشف الإمبراطور هذه المكيدة قرر طرد السلطان السلجوقي من دوبروجا حيث قام بنفيه إلى إحدى البلدات التي تقع على الساحل الروملي الواقع في الأراضي البيزنطية الجانب الأوروبي وتدعى آينوس، ولم يكتف الإمبراطور بهذه الإجراءات الصارمة فحسب بل قام بقتل علي بهادر أحد رجالات السلطان وذلك بعد أن تأكد الإمبراطور من ضلوعه في المؤامرة التي هدفت إلى التخلص منه، كذلك قام بسجن السلطان مع عائلته، وتم تعذيب أتباع السلطان لدرجة أن بعضهم اعتنق الديانة النصرانية لعدم احتمالهم للعذاب⁽¹⁾.

لقد كان اهتمام الإمبراطورية البيزنطية بعد عصر ميخائيل الثامن منصباً على شؤون البلقان، وذلك من واقع حرص الإمبراطورية على أراضيها من أطماع شعوب هذه المنطقة وهذا كان له أثراً كبيراً في أضعاف سلطة الإمبراطورية في بعض الأطراف القريبة من المناطق التي تستقر فيها القبائل التركمانية التابعة لدولة السلاجقة⁽²⁾.

كان للسياسة البيزنطية في هذا الجانب دوراً كبيراً في انتشار وتوسع التركمان في تلك الأصقاع حتى أصبحوا الغالبية في هذه المناطق من أراضي الإمبراطورية كما أن نفوذ البيزنطيين في المنطقة الواقعة غرب بلاد الأناضول أصبح مقصوراً على بعض المدن مثل بروسة⁽³⁾، وفيلادلفية، ومعنيسية، ونيقوميديا، ونيقيا بالإضافة إلى احتفاظها ببعض الموانئ

(1) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 307

(2) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس (بيروت، 2008م) ص 19 - 21.

(3) بروسة: مدينة عظيمة كبيرة حسنة الأسواق وفسحة الشوارع، تم افتتاحها في عهد السلطان عثمان، وقد كانت تحت سيطرة الروم = ابن بطوطة، المصدر السابق، 307-309، كذلك الدمشقي، شهاب الدين أبو الفلاح: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، بدون تاريخ) 122/8.

المهمة الواقعة على البحر الأسود وبحر أيجة، وقد ساعدت طبيعية الظروف العامة في آسيا الصغرى على ظهور الإمارات التركمانية التي كان بعضها مستقلاً، وبعضها الآخر يتبع أسماً للدولة السلجوقية، وقد استغلت هذه الإمارات التركمانية الظروف السياسية المضطربة للإمبراطورية البيزنطية في المناطق الحدودية مع القبائل التركمانية، وذلك بسبب توجيه الإدارة البيزنطية لاهتمامها على حدودها مع أوروبا، وفي واقع الأمر على الرغم من كل المحاولات التي قامت بها القبائل التركمانية من أجل إقامة إمارات مستقلة عن الدولة السلجوقية، ألا أن سلطة السلاجقة المركزية لم تنته وظلت مستمرة على الرغم من كل الأزمات التي واجهتها ومن أهمها غزوات المغول التي أعقبت معركة كوسي داغ عام (641هـ/1243م) التي وقعت بين المغول والسلاجقة⁽¹⁾.

بدأ اندرونيقوس الثاني (681-729هـ/1282-1328م) الذي تولى حكم الإمبراطورية خلفاً لوالده في المشاركة في الحكم منذ أن كان في السادسة عشر من عمره أي قبل وفاة والده بعشرة أعوام، وهدف والده الذي زوجه من ماريا ابنة ملك المجر ستيفن الخامس (669-671هـ/1270-1272م) إلى تجهيزه لتولي الحكم بتركته الثقيلة وبما يحمله من مشاكل سواء الخارجية المتمثلة في خطر السلاجقة، الذين كانوا يهددون الإمبراطورية والداخلية المتمثلة في صراعه مع البطارقة وعددهم أحد عشر بطريقاً قام هو بنفسه بعزلهم وتولييتهم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على سوء العلاقة بينه وبين رجال الدين. كل هذه المشاكل والصعاب جعلت موقف اندرونيقوس الثاني متأزماً، ولقد استغل السلاجقة فرصة انشغال وانغماس الإمبراطور في هذا الصراع مع البطارقة، وقاموا بالزحف على أراضي الإمبراطورية البيزنطية، وبخاصة وأنهم رأوا بأن الفرصة مواتية للإستيلاء على ممتلكات

(1) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 20-21.

الإمبراطورية، وفعلاً استطاعوا الانقضاء على بعض المناطق وتمكنوا من الوصول إلى المناطق الواقعة بين البسفور والدردينيل⁽¹⁾، ونتيجة لكل ما سبق ذكره، والذي كان له دوراً كبيراً في إضعاف سياسة الإمبراطورية، قام الإمبراطور اندرونيقوس باستدعاء فرقة من المرتزقة مجلوبين من صقلية تعرف بالجماعة الكبيرة (Grand Company)⁽²⁾، وهذه الجماعة التي حملت هذا الاسم بعد نهاية الصراع الذي نشب عام (1302/هـ702م) بين عائلتي ارجون (Aragon) وأنجو (Anjon) وبالتحديد بعد معركة الغبار الصقلية (The Sicilim vespers) تمكنت من استرجاع بعض الأراضي المستحوذ عليها من قبل السلاجقة والعثمانيين في وقت سابق، وعندما حاولت الاستقلال بكل هذه الأراضي ونقص الاتفاق المعقود بينهم وبين الإمبراطور، بالإضافة إلى أنهم قاموا ببعض التصرفات التي ضايقت الأهالي، ثم وضع حد لهم التخلص من هذه المشكلة وذلك بالقبض على صاحب هذه الفرقة وقتله وكان ذلك بالتحديد في عام (1307/هـ707م) وعندما كان الإمبراطور مشغولاً بالصراع مع هذه الجماعة انتهز السلاجقة هذه الفرصة وقاموا بكسب الوقت والتوغل في أراضي الإمبراطورية⁽³⁾.

لم تكن الإمبراطورية البيزنطية وحدها تعاني من المشاكل في نهاية القرن السابع وبداية الثامن الهجري/ الثالث والرابع عشر الميلادي، بل حتى دولة السلاجقة أيضاً كانت تعاني من تدخل المغول في أمور الحكم، حيث أنهم كانوا يتبعونهم بشكل غير مباشر، ويدفعون لهم

(1) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 351.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص 224.

(3) محمود عمران: المرجع السابق، ص 352، كذلك حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 297.

الجزية، بل أنهم سيطروا على عاصمة السلاجقة قونية، ولقد استمر هذا الوضع لفترات طويلة لاحقة⁽¹⁾.

السبب المباشر الذي أدى إلى سيطرة المغول على دولة سلاجقة الروم، هو التنافس على السلطة بين الأمراء⁽²⁾، ولكن رغم وقوع دولة السلاجقة تحت سيطرة المغول إلا أنهم واصلوا دورهم الجهادي ضد الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى، وقد دخل عنصر جديد في الصراع بين الطرفين، وهم الأتراك العثمانيون، ولقد قام هؤلاء بقيادة أرطغرل بالوقوف مع السلاجقة في صراعهم مع الإمبراطورية البيزنطية في وقت سابق، ولكن هذا لا يعني بأن العثمانيين لم يكونوا يطمعون بالحصول على بعض الأراضي في الأناضول، وقد ازداد نفوذ العثمانيين في بداية مدة حكم الأمير الغازي عثمان، حتى أنه يمكن القول بأن نواة وأساس الدولة العثمانية قد بدأت تتشكل منذ هذه المدة⁽³⁾.

قام سلاجقة الروم بالقضاء على نفوذ البيزنطيين في النواحي السياسية، وذلك بعد معاملتهم السيئة للمسلمين إبان نشاط الحروب الصليبية⁽⁴⁾، والنزاعات التي أخذت الطابع الديني داخل آسيا الصغرى، وهذا العمل من قبل السلاجقة أدى بدوره إلى إضعاف مكانه الإمبراطورية البيزنطية في المنطقة الوسطى من الأناضول، وقد ظهر ذلك جلياً منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حيث لم يعد لهم أي وجود في تلك المنطقة⁽⁵⁾.

(1) علي سلطان: المرجع السابق، ص 11.

(2) ابن بيبى: الأوامر العلائية في الأمور العلائية، ص 249، 308. نقلاً عن محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 343.

(3) طه عبيد: المرجع السابق، ص 343.

(4) محمد كويريلي: المرجع السابق، ص 15.

(5) المرجع نفسه، ص 15-16.

بعد ضعف الدولة السلجوقية أصبحت العناصر التركية هي الوارثة لأراضيها منذ البدايات الأولى للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مستغلة فرصة تدهور أوضاع الإدارة المغولية في المنطقة⁽¹⁾.

هكذا كانت طبيعة العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة سلاجقة الروم ولقد ترتب على هذه العلاقة عدة نتائج مهمة تمثلت في الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية على كلا الطرفين.

ثالثاً: الآثار المترتبة على العلاقات البيزنطية السلجوقية:

من المعروف بان الإمبراطورية البيزنطية قد حملت لواء الحملات الصليبية في المشرق منذ البداية أي منذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الكنيستين الشرقية والغربية، وهذا الدور جعلها ترتبط بالسلاجقة بعلاقة غلب عليها الطابع العدائي مع تضمنتها بعض المواقف المصلحية التكتيكية.

وهذه النتائج كانت مؤثرة على الطرفين من خلال الآتي:

1. الآثار السياسية:

أ. استنزاف قوة الطرفين:

من الطبيعي أن تقوم الإمبراطورية البيزنطية ودولة سلاجقة الروم بخوض العديد من الحروب من أجل الحفاظ على سلامة أراضيها، وهذه الحروب بدأت منذ معركة ملاذكرد عام (463هـ/1071م) والمعارك التي حدثت بين الطرفين بعد هذه المعركة، والتي استمرت حتى

(1) محمد كوبريلي: المرجع السابق، ص75- 76.

في المدة التي احتلت فيها الأسرة البيولوجية العرش البيزنطي⁽¹⁾. ولقد عاد النزاع بين الإمبراطورية وسلطنة السلاجقة ولكن بشكل محدود وكان ذلك في عصر الإمبراطور ميخائيل⁽²⁾، الذي سعى إلى الحصول على تأييد البابا جريجوري العاشر (670-675هـ/1271-1276م) ومن أجل الحصول على ذلك قام بالاعتراف بالتقاليد والمعتقدات النصرانية المتبعة بغرب القارة الأوروبية⁽³⁾.

كان ميخائيل الثامن يهدف من وراء طلبه المساعدة من البابوية والمشاركة في مجمع ليون الثاني عام (673هـ/1274م) إلى الحد من بعض المشاكل الخارجية الضارة بمصالحه على سبيل المثال تقوم بردع شارل الأنجوي الذي كان يسعى من وراء سياسته إلى الأضرار بمصالح الإمبراطورية، ولكن البابا جريجوري العاشر هو أيضاً كانت له أهدافاً معينة على سبيل المثال توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، وإنهاء الخلاف الذي بدأ منذ مدة طويلة والذي انتهى بالقطيعة بين الكنيستين في عام (446هـ/1054م) لذلك عمل على مقايضة الإمبراطور البيزنطي على ذلك مقابل أن تقدم البابوية الدعم الكامل للإمبراطورية⁽⁴⁾.

عاد الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية، ودولة سلاجقة الروم ليندلع من جديد في عصر الإمبراطور اندرونيقوس الثاني الذي قام باستئجار مجموعة من المرتزقة الكتلان والذين كان الهدف من جلبهم هو استرداد الأراضي البيزنطية من السلاجقة وحلفائهم

(1) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص351.

(2) المرجع نفسه، ص351.

(3) Meyendorff, Fr. John: *Theology in the thirteenth Century: Methodological Contrasts, From Kathigtria: Eassays Presented to Joan Hussey*, Porphyrogenitus Publishing, 1988, P9.

كذلك محمود عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص310.

(4) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 291 - 292، كذلك محمود عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص310.

العثمانيين⁽¹⁾، ولكن هؤلاء قاموا ببعض عمليات الشغب في المدن والقرى البيزنطية، مستغلين فرصة تدهور العلاقة بين الإمبراطورية والسلاجقة، وهذا بدوره أدى إلى الإضرار بالإمبراطورية وهذا كله ما كان ليحدث لولا زحف السلاجقة على بعض الأراضي البيزنطية⁽²⁾.

لم يكن حال دولة سلاجقة الروم في هذا الجانب بأفضل من حال البيزنطيين، حيث كلفت هذه الحروب جهداً كبيراً من قوة الإمبراطورية البيزنطية، فقد أنهكت أيضاً دولة السلاجقة، فقد أدت سياسة التتكيل التي أتبعها ميخائيل الثامن بكيكوس بعد أن كشف ضلوعه مع البلغار في المؤامرة - التي سبقت الإشارة إليها - إلى اضطراب أوضاع السلاجقة في دوبروجا وبالتالي ضعف دورهم في المنطقة وبخاصة بعد انقسامها أثناء صراع كيكوس مع أخيه ركن الدين قلع ارسلان الذي تم التطرق له فيما سبق⁽³⁾.

ب. سيطرة المغول على العديد من المناطق في آسيا الصغرى:

لقد أدى انشغال البيزنطيين والسلاجقة في الصراع فيما بينهم إلى زحف قوة شرقية غرباً وهذا ما يعرف بالزحف المغولي على آسيا الصغرى فبينما كان السلاجقة وحلفاؤهم القبائل التركمانية مشغولين بمواجهة الإمبراطورية البيزنطية، قام المغول بتوجيه أنظارهم إلى التوسع في المنطقة، وقد حاولت دولة السلاجقة عبثاً التصدي لهجمات المغول بداية من الهزيمة النكراء التي لحقت بغياث الدين كيخسرو بن كيقباد، ولم يحل عام (1258/هـ656م) حتى دخل السلاجقة تحت سيطرة المغول، الذين تركوا لأمر السلاجقة حكم هذه البلاد أي

(1) محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص351، كذلك حسنين ربيع: المرجع السابق، ص297.

(2) محمود عمران: المرجع السابق، ص351.

(3) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 307.

أنهم أصبحوا يحكموها باسم المغول، والأهم من ذلك كله أن الحكام والسلاطين كان يتم تعيينهم عن طريق المغول أنفسهم، والدليل على هذا أن أباخان قام بقتل ركن الدين سليمان الذي تولى الحكم من سنة (644-664هـ/1246-1265م)⁽¹⁾، وبعدها تولى الحكم ابنه كيخسرو وهو لا يزال صبياً، ولكنه استمر على عرش سلطنة السلاجقة لمدة طويلة حوالي ثمانية أعوام إلى أن قام المغول بإنهاء مدة حكمه بنفس الطريقة التي تم فيها التخلص من والده⁽²⁾.

أما الموقف الآخر الذي يدل على سيطرة المغول على الإدارة السلجوقية يتضح عندما قامت الخاتون زوجة بايجو بالعمو عن خطيب جامع في قونية، وذلك عندما أقتعها بالدخول في الدين الإسلامي⁽³⁾. وهذا كله إن دل على شيء إنما يدل على ضعف القوة المادية لسلطنة السلاجقة المنهكة بسبب حروبها وتزعّمها لحركة الجهاد ضد الصليبيين في آسيا الصغرى. أدت سيطرة المغول "الايلاخانيين" على سلطنة السلاجقة إلى نزوح العناصر التركية إلى غرب الأناضول، وكل ذلك أدى بالسلاجقة إلى الثورة على المغول، وذلك من أجل التخلص من ظلمهم ولم تكن هذه الثورة من صنع أو تدبير السلاجقة وحدهم، بل أيضاً شارك معهم المماليك في ذلك الوقت، بالإضافة إلى دعم سكان المنطقة، وكان ذلك في عام (670هـ/1271م) وقد تمكن المغول من إخماد هذه الثورة⁽⁴⁾.

(1) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص62.

(2) أحمد حلمي: المرجع السابق، ص62.

(3) محمود عمران: المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2003) ص83.

(4) إينالجبك، خليل: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الاناؤوط، الدار الإسلامية (بيروت، 2002م) ص 14.

أما فيما يخص الإمبراطورية البيزنطية فهي أيضاً طالها الزحف المغولي، فعلى الرغم من أن الإمبراطورية البيزنطية كان من صالحها تدمير دولة السلاجقة، وذلك بحكم العلاقة العدائية بين الطرفين، ولكن كانت في ذات الوقت تبدي مخاوفها من أن تجتاحها جموع المغول انطلاقاً من كل ذلك عمل ميخائيل الثامن على كسب ود زعيم المغول هولكو، بل تعد الأمر إلى أكثر من ذلك حيث تحالف معه ضد بركة خان زعيم مغول القفجاق "القرن الذهبي"، ولكن تمكن الأخير من سحق جيش ميخائيل الثامن، وبعدها أعاد ميخائيل النظر في صداقته وتحالفه مع هولكو وبالتالي قطع كل أواصر المودة معه، ومع إيلخانات فارس⁽¹⁾.

الجدير بالذكر أنه لولا السياسة التي اتبعتها الإمبراطورية البيزنطية، والتي تركزت على الاهتمام بالعاصمة وإهمالها للحدود الشرقية، لما استطاع المغول التوسع في الأراضي التابعة للإمبراطورية، والدليل على ذلك هو دخول المغول أراضي الإمبراطورية من تلك النواحي أي أن هذه السياسة كانت وبالأعلى على الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾.

ج. تترك الأناضول:

ذكرت فيما سبق أنه من نتائج الصراع البيزنطي السلجوقي وقوع السلاجقة تحت سلطة المغول، أي أن الإدارة المغولية هي التي كانت تسيطر على المناطق السلجوقية، وقد ترتب على ذلك وقوع دولة سلاجقة الروم فريسة سهلة للقبائل التركمانية التي نزحت من الشرق باتجاه أراضي آسيا الصغرى. وقد أصبح عددهم يزداد فيما بعد ليدخلوا في صراع مع الإمبراطورية البيزنطية، ولقد أخذ هذا الصراع الطابع الديني مع الأخذ في الاعتبار دور

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص62.

(2) هالدون، جون: بيزنطة في حرب (600 - 1423م)، ترجمة: وتعليق: فتحي عبدالعزيز، دار ناشري للنشر الإلكتروني (الكويت، 2011م) ص 81.

العامل الاقتصادي، والذي يتمثل في رغبة هؤلاء الوافدين في الاستيلاء على العديد من المساحات الصالحة للزراعة والتي كانت تتبع الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾.

عندما أتى المغول إلى آسيا الصغرى لم يأتوا وحدهم بل جلبوا معهم العناصر التركبية التي اتخذت من حدود الإمبراطورية البيزنطية الشرقية، موطن استقرار لها في آسيا الصغرى، وقد كان ذلك في البداية، ومما شجع هذه العناصر على الاستقرار في هذه المنطقة هو ملائمة الظروف المعيشية لهم بصفة عامة⁽²⁾.

خلال أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي استطاعت القبائل التركبية الاستحواذ على كل المناطق الواقعة غربي الأناضول والتي تم تقسيمها بين هذه العناصر التي أسست عدة إمارات أهمها تلك التي أسسها "عثمان بن أرطغرل" في "سكود" القريبة من "أسكي شهر" في المنطقة الشمالية الغربية من آسيا الصغرى، وقد انضم إلى هذه الإمارة العديد من التركمان الذين أجبرتهم قسوة المغول إلى النزوح إلى الغرب أي إلى آسيا الصغرى، وذلك من أجل الاضطلاع بالدور الجهادي خلفاً للسلاجقة، وأيضاً نصرة للدين الإسلامي في تلك المنطقة، مما أدى إلى حملهم العبء عن السلاجقة الذين حملوا لواء الإسلام في تلك المنطقة منذ وقت سابق⁽³⁾.

2. الآثار الاقتصادية:

-
- (1) خليل إينالجيك: المرجع السابق، ص 14.
 - (2) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 21.
 - (3) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس (بيروت، 2011م) ص 698 - 699، كذلك مصطفى، أحمد عبدالرحيم: أصول التاريخ العثماني، دار الشروق (القاهرة، 1998م) ص 240.

منذ القدم ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية بعلاقات اقتصادية جيدة مع الشرق، حيث أن هذه العلاقة ارتكزت عليها معظم أنشطة رعايا الإمبراطورية الاقتصادية⁽¹⁾.
لقد تأثرت الإمبراطورية البيزنطية اقتصادياً من علاقتها مع دولة سلاجقة الروم. كما أن دولة السلاجقة نفسها تأثرت من هذه العلاقة وهنا يتضح من خلال الآتي:

أ. بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية:

من الطبيعي أن يكون للحروب التي خاصتها الإمبراطورية البيزنطية آثارها السلبية على مقدراتها المختلفة فعلى سبيل المثال صراعها مع السلاجقة الذي استمر لمدة طويلة؛ مما أدى إلى سوء الأوضاع وتدهورها من الناحية المالية، كما أدى إلى ضياع قيمة العملة البيزنطية وتدهورها، وذلك طبيعي، فعندما تتحسن أو تتدهور الأوضاع الاقتصادية في دولة من الدول تعكس العملة إحدى هذين الوضعين، وهذا انطبق أيضاً على الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾، حيث عمد الأباطرة إلى تغيير العملة، وذلك عندما قاموا بإنقاص معدل المعادن النفسية في العملة المتداولة لدرجة أنها أصبحت مزيفة، ويمكن القول بأنها لا تحتوي أبداً على هذه المعادن، وهذا يشير بشكل واضح إلى تردي الأوضاع الاقتصادية وتدهورها في أراضي الإمبراطورية، والذي كان سببه انشغالها في الحروب مع السلاجقة وغيرهم⁽³⁾، وليس أدل على ذلك من الخسارة المادية التي تعرضت لها الإمبراطورية من جراء استئجار المرتزقة في عصر الإمبراطور اندرونيقوس الثاني عام (1303/هـ703م) حيث أدى ذلك إلى تكليف

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص261.

(2) جوزيف يوسف: الإمبراطورية البيزنطية، ص 286 - 287.

(3) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 297.

الإمبراطورية البيزنطية الكثير من المبالغ المالية سواء عند استئجارهم أو عندما اصطدمت ودخلت في صراع عنيف معهم، سبب تأخر المرتبات عنهم، والتي كانوا قد اتفقوا عليها فيما سبق، ولقد ترتب على هذا الصدام الدمار والخراب الذي أحدثته هذه الفرقة في تراقيا، ومقدونيا، وغاليبولي⁽¹⁾، وهذا بدوره أدى إلى إضعاف الدولة البيزنطية وإصابة نظامها الاقتصادي والمالي بالخلل والعجز وذلك لأنه قد كلف خزينة الإمبراطورية البيزنطية العديد من الأموال باعتبار أن هذه المدن من ضمن المناطق التابعة لها⁽²⁾.

أدى استنزاف وتضاؤل الإمكانيات الاقتصادية للإمبراطورية البيزنطية إلى عدم الاهتمام بتجهيز المقاتلين، وذلك أمر طبيعي فكل دولة تشهد زيادة واستقراراً في الموارد المادية، يصبح بإمكانها إعداد جيشها بشكل جيد بحيث يكفل ذلك حماية أراضيها، ولقد اتضح تأثير النظام المالي على إعداد الجيش في الإمبراطورية البيزنطية بشكل كبير في المدة الممتدة من منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حتى سقوط الإمبراطورية⁽³⁾.

ب. بالنسبة لدولة السلاجقة:

أما فيما يخص الجانب السلجوقي فلم تكن الأحوال بأحسن من حال الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية، فقد كان للحروب التي خاضتها الدولة مع الإمبراطورية البيزنطية في عهد إمبراطورها اندرونيقوس الثاني، دوراً كبيراً ومهماً في إنهاك قوة الدولة⁽⁴⁾.

(1) غاليبولي: هي مدينة جميلة تقع على ساحل البحر تبعد عن القسطنطينية بسنة وثمانون ميلاً = القرمانى: المصدر السابق، 11/3.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 297.

(3) جون هالدون: المرجع السابق، ص 50.

(4) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 361، كذلك جوزيف يوسف: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 283.

أيضاً كان لاستمرار تبعية دولة سلاجقة الروم للمغول وإدارتهم أثراً سيئاً وسلبياً على الدولة، وذلك بإنهاكها عن طريق إشراكها إلى جانبهم في الحروب التي يخوضونها مع القرمانيين الذين استوطنوا في المنطقة الجنوبية الغربية من قونية، هذه الحروب التي بدأت عام (686هـ / 1287م) استمرت حتى اندثار الدولة السلجوقية، وهذا بدوره أدى إلى إرهاب الدولة وكذلك إلى عدم عنايتها بأمرها أثناء خوضها لتلك الحروب⁽¹⁾.

لم يتوقف تأثير الإدارة المغولية على النظام الاقتصادي والمالي لدولة سلاجقة الروم عند هذا الحد بل بالإضافة إلى ذلك قد أنهكت الإدارة المغولية هذه الدولة أثناء جبايتها للأموال، وقد اتضح ذلك جلياً في الربع الأخير من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهي المدة التي تولى فيها الطبيب اليهودي سعد الدولة وزارة المالية في الدولة الإيلخانية⁽²⁾.

هكذا يتضح من خلال ما تم عرضه الآثار الاقتصادية المترتبة على الصراع البيزنطي السلجوقي، وما نتج عنه من تدهور وتذبذب، نتيجة لتدخل عناصر خارجية في سياسة الدولتين.

3. الآثار الاجتماعية:

من الطبيعي أن ينتج عن العلاقات البيزنطية السلجوقية المتذبذبة بعض الآثار

الاجتماعية على كلا الطرفين وهي على النحو التالي:

أ. بالنسبة للجانب البيزنطي:

(1) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 361.

(2) المرجع نفسه، ص 364.

تمثلت الآثار الاجتماعية على الإمبراطورية البيزنطية في انتشار نظام الإقطاع، الذي بدأ في الازدياد في عصر الإمبراطور ميخائيل الثامن، وذلك عندما قام بإعطاء العديد من المقاتلين قطع أراضي على الحدود بالإضافة إلى رواتب يتقاضونها مقابل حماية أراضي الإمبراطورية من أي هجوم خارجي، وهذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على مدى الضعف والانحلال اللذين تعانين منهما السلطة المركزية، والقوة الدفاعية البيزنطية⁽¹⁾.

ترتب على هذه السياسة السلبية إلى ظهور العديد من الاقطاعات المعفية من دفع أية ضرائب، والجدير بالذكر أن هذه السياسة مبنية على المصلحة بين الطرفين وعلى استمرار العلاقة الودية بينهما؛ والدليل على هذا أن هذه السياسة فشلت، ولم تؤد الغرض المطلوب منها وذلك عندما توقفت الإمبراطورية عن دفع رواتب هؤلاء المقاتلين، الذين تم استرجاع وأخذ السلاح الذي كان بحوزتهم، والذي أعطته لهم الإمبراطورية في وقت سابق، وذلك من أجل الذود عن حدودها، وقد كان هذه التصرف من قبل الإمبراطورية البيزنطية مرجعه فقدان ثقة الإمبراطورية بهم، وذلك عندما أوجس الإمبراطور منهم خيفة، وأيقن بعدم تبعيتهم له⁽²⁾.

ب. بالنسبة للجانب السلجوقي:

يتمثل التأثير الاجتماعي للصراع البيزنطي السلجوقي على الطرف الثاني في الانقلاب الطبقي الخطير الذي كان سببه نظام البيزنطي السلجوقي، فلم تسلم دولة السلاجقة منه أيضاً، وقد اتضحت معالم ذلك كله في ظهور طبقة جديدة التي تحولت مع مرور الزمن إلى إمارات تركمانية، ولكن الوضع في دولة السلاجقة كان مشابهاً لنظيره في الجانب البيزنطي، من حيث تقسيم الأراضي على الجنود الذين يحرسون المناطق الحدودية، حيث اندمجوا في مدة معينة

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص223.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص223.

في الجيش السلجوقي، حيث أنهم ساندوا السلاجقة في حماية مناطقهم الحدودية⁽¹⁾، وقد ظهر ذلك بوضوح خلال عصر علاء الدين كيقباد السلجوقي⁽²⁾، بالإضافة إلى أنهم كانوا يقومون بحراسة المناطق الحدودية للدولة، وهذا الأسلوب في حماية الأراضي، كان السبب في اتخاذ هو الظروف العسكرية في المناطق الحدودية لسلطنة سلاجقة الروم، وقد تحولت هذه الاقطاعات إلى إمارات أختلفت كل منها في توجهتها بحسب الظروف الخاصة والبيئة المحيطة بكل منها⁽³⁾.

هناك عدة إقطاعات تحولت إلى إمارات ومن أهمها ذلك الذي نشأت عليه الإمارة العثمانية التي قامت بعد ضعف الدولة السلجوقية⁽⁴⁾. وقد تمركزت هذه القبائل التركية في المناطق الحدودية الشمالية والجنوبية والغربية للإمبراطورية البيزنطية مع الدولة السلجوقية⁽⁵⁾، ومن بين هذه القبائل التي شكلت إمارة تلك التي أسست إمارة قرمان، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد كانت الظروف العامة في آسيا الصغرى عاملاً لاستقرار العناصر التركمانية التي اتخذت من الأراضي المتاخمة للإمبراطورية البيزنطية مستقراً لها، وقد تمكنت بعدها من تأسيس إمارات ذات سمات مشتركة. ما لبث أن ظهر التنافس بينها ومن بين هذه الإمارات التي ظهرت في ذلك الوقت: إمارة منتشا وكرميان وإمارة الحميد، وقره سي، وتكه وصاروخان وآيدين⁽⁶⁾.

(1) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 370، 372.

(2) أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص 16.

(3) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 381.

(4) المحامي، محمد فريد: تاريخ الدولة العثمانية، دار الجيل (بيروت، 1977م) ص 31.

(5) عطا، زبيدة: بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيين، دار الفكر العربي (بدون مكان، بدون تاريخ، ص 147).

(6) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 23 - 24.

هكذا يتضح من خلال ما سبق ذكره الدور المهم والأساسي الذي قامت به هذه القبائل في اضمحلال الدولة السلجوقية وتدهورها، وبالتالي زوالها فيما بعد⁽¹⁾، وذلك عندما أدى النظام الإقطاعي الذي تركزت عليه حياة هذه القبائل والإمارات إلى تفتيت الدولة وتمزيقها، وحدث الانقلاب الطبقي فيها، حيث أن القبائل التركية والتي كان عناصرها يخدمون في الجيش السلجوقي، أصبحوا فيما بعد هم أصحاب البلاد وحكامها.

كانت دولة السلاجقة كانت مضطرة عندما قامت بإدماج العناصر التركية في الجيش، وذلك لأنهم كانوا خير سند يمكن الاعتماد عليه في مواجهة أعداء الدولة وهو الإمبراطورية البيزنطية، والمغول، الذين كانوا يطمعون في السيطرة على أراضي الدولة، فقد عملت الإمبراطورية البيزنطية منذ القدم على إزالة دولة السلاجقة حيث أن الصراع تعدى كونه صراعاً ذو أهداف اقتصادية، بل أنه صراع مصيري من أجل البقاء والاستمرارية⁽²⁾.

هذه هي طبيعة العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة السلاجقة، والتي غلب عليها الجانب الحربي والذي يشكل بداية للحروب الصليبية في وجهة نظر بعض المؤرخين. كما أن البيزنطيين لم يقتصروا في علاقتهم بالمسلمين على السلاجقة بل ارتبطوا بسلطنة المماليك، التي قامت في مصر وبلاد الشام والتي كان لها دوراً مهماً وواضحاً في التاريخ الإسلامي، وهذا ما سأتطرق له في الفصل القادم بعون الله تعالى.

(1) غرابية، عبدالكريم: العرب والأتراك، دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة، مطبعة دمشق (دمشق، 1961م) ص 270.

(2) أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص 16.

الفصل الثالث

العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك

أولاً - ظهور المماليك وقيام سلطنتهم

ثانياً - علاقة البيزنطيين بالمماليك البحرية

1 - العلاقة بين الطرفين في عصر الظاهر بيبرس

2 - علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك في عهد أسرة بني قلاوون

ثالثاً - علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك البرجية (الجراكسة)

رابعاً - الآثار المترتبة عن العلاقات البيزنطية المملوكية

1 - الآثار السياسية

أ- جلاء الصليبيين عن بلاد الشام

ب- إفشال مخطط شارل الانجوي في السيطرة على القسطنطينية ومصر

ج- الحد من الخطر المغولي على الأراضي البيزنطية والإسلامية

2 - الآثار الاقتصادية المترتبة عن العلاقات البيزنطية المملوكية

أ- المعاملة الحسنة لتجار الطرفين في كلا البلدين

ب- تأمين الطرق التجارية المهمة للطرفين

ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك بعلاقات قوية، وذلك منذ السنوات الأولى لتأسيس الثانية عقب سقوط الخلافة العباسية واحتياج المغول للمشرق الإسلامي منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقبل الخوض في الحديث عن هذه العلاقة ينبغي التطرق لأصل المماليك وكيفية تأسيسهم لسلطنتهم.

أولاً: ظهور المماليك وقيام سلطنتهم:

المماليك هم من الرقيق الأبيض الذين يتم استرقاقهم منذ أن يكونوا صغاراً، بعد فصلهم عن عائلتهم، ويتم الحصول عليهم عن طريق ثلاثة وسائل الأولى تكون بعد الحرب أي أنهم أسرى لدى الطرف المنتصر الذي يقوم باسترقاقهم، والثانية عند ما يقوم التجار ببيعهم في الأسواق المخصصة لذلك⁽¹⁾، والثالثة عندما يتم بعثهم من طرف قادة الأقاليم إلى حكامهم كهدايا⁽²⁾، وتعتبر الخلافة العباسية هي السبابة إلى جلب هؤلاء المماليك إلى الأراضي الإسلامية، وذلك لعدم ثقة العباسيين الأوائل في العنصر الفارسي الذي ساعدهم في تأسيس خلافتهم، والذين أصبحوا يشكلون خطراً على حكمهم، وقد اتضح ذلك جلياً في عصر الخليفة المأمون العباسي⁽³⁾. (198-218هـ/813-833م)⁽⁴⁾. حيث أنهم كانوا جزءاً كبيراً من الجيش العباسي، بالإضافة إلى العنصر العربي، وقد قام الخليفة باسترقاق عدد بسيط منهم، ولكن في عهد الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) أكثر العنصر التركي في الجيش العباسي.

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص1.

(2) حسين، حمدي عبدالمنعم محمد: الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2002م) ص349.

(3) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص1.

(4) زهير الكبي: المرجع السابق، 43/2.

حيث قام بجلب أعداد كبيرة منهم، من مناطق سمرقند: وفرغانة و اشروسة والشاش، و خوارزم، وكل هذه المناطق واقعة خلف نهر جيحون (بلاد ما وراء النهر)⁽¹⁾.

قام المعتصم بتجنيد عدد كبير من الأتراك وذلك من أجل حمايته وحراسته، بالإضافة إلى إقحامهم في الجيش، وقام ببناء مدينة سامراء⁽²⁾. حتى تكون مقراً لهم، وكذلك أصبحت مستقراً له، وقد كانت لهذه السياسة أثر كبير على سلطة الخلافة العباسية، حيث ساعدت هذه السياسة الأتراك على الاندماج في جسم الدولة العباسية حتى أصبحوا يحكمون على الأقاليم نيابة عن الخليفة العباسي، وقد توارث أولادهم وأحفادهم حكم تلك الأقاليم، ومن بين تلك الأقاليم على سبيل المثال مصر⁽³⁾.

أستخدم المماليك كأداة في الخلافات بين الحكام المسلمين، وبخاصة في مصر وبلاد الشام، وقد كان ذلك في ظل الصراع على السلطة والظروف السياسية الصعبة التي تمر بها المنطقة بعد وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي حيث كان كل طرف يعمل على شراء هؤلاء الرقيق ثم يقوم بتنشئتهم وتدريبهم على أساس عسكري من أجل الزج بهم في خلافاتهم مع بعضهم، وقد أصبح نفوذ هؤلاء المماليك يزداد في الجيش وبدأت أهميتهم في الحياة السياسية تزداد تزامناً مع ذلك⁽⁴⁾.

(1) حمدي حسين: المرجع السابق، ص 439، كذلك زهير الكبي: المرجع السابق، 43/2 - 44، كذلك المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات وزارة الثقافة (مشق، 1989م) 130/3.

(2) سامراء: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة تم بناؤها عام (221هـ/835م) = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 173/3-174.

(3) حمدي حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين المماليك، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2006م) ص 153

(4) قاسم، قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة، 1994م) ص 7، كذلك محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 519-520.

لقد تواصل ظهور المماليك في العالم الإسلامي حتى في عصر الدولة الأيوبية فقد قام السلطان الصالح نجم الدين أيوب⁽¹⁾، بالإكثار منهم، وقد وضعهم في قلعة بالنييل تدعى الروضة⁽²⁾، وذلك خشية حدوث خلاف بينهم وبين العامة وهؤلاء المماليك كان يطلق عليهم اسم "بالتركية" وذلك لأنهم ينتسبون إلى الجنس التركي، وتعتبر القوقاز وبلاد الخرز والمناطق المطلة على البحر الأسود هي الموطن الأصلي لهم⁽³⁾.

اتصف هؤلاء المماليك بعدة مزايا أعطت لفتنتهم خصوصية على المجتمع المصري في ذلك الوقت فقد اشتهروا بالفروسية والجدية، ولم يكونوا يتزاوجون إلا من أنفسهم، وقد كان السبيل الوحيد الذي يربطهم بباقي أفراد المجتمع هم رجال الدين، وقد انقسم هؤلاء إلى مجموعات تولى قيادة كل مجموعة منهم قائد، وقد اتسمت العلاقة بين هذه المجموعات بالعداء، وهذا بدوره انعكس سلباً على العديد من أمور الحياة وشؤون الحكم⁽⁴⁾.

ازدادت أهمية المماليك في عصر السلطان الصالح نجم الدين أيوب حيث كان لهم الدور الأبرز في مواجهة الصليبيين، وهذا جعلهم يفتخرون بقوتهم، ويحسون بأهميتهم في ظل الضعف الذي أصاب الدولة في تلك الآونة، وقد اتضح ذلك جلياً بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب، وتولي الحكم من بعده ابنه تورانشاه⁽⁵⁾. الذي اتصف بسوء فهمه للأمور السياسية، وسوء تدبيره، أي أنه لم تتوفر فيه الأمور التي يجب أن يتحلى بها السياسي

(1) الصالح نجم الدين أيوب: هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد تولى الحكم من سنة (363-647هـ / 1236-1247م) عقب وفاة أخيه العادل وتوفي بالمنصورة ليلة الخميس الثامن عشر من شعبان، وكان وقتها الفرنسيين بدمياط = بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص7.

(2) علي الشطشاط: المرجع السابق، ص 226.

(3) المرجع نفسه، ص 226.

(4) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 636.

(5) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة، الروم، ص313.

والحاكم. كما أنه أساء تقدير قيمة المماليك، وأدى هذا إلى توتر العلاقة بينه وبينهم، فعزموا على التخلص منه وقد وافقت شجرة الدر أرملة السلطان الصالح نجم الدين أيوب علي رغبتهم وقام بتنفيذ هذه المؤامرة عدد من القادة المماليك كان أهمهم الظاهر بيبرس⁽¹⁾، حيث كان نتيجة هذه المؤامرة هي اغتيال توران شاه أواخر السلاطين الأيوبيين في مصر في (28 محرم 648هـ / 2 أيار مايو 1250م)⁽²⁾، وبدأت بوادر ظهور سلطنة المماليك⁽³⁾، وانتهت سلطنة الأيوبيين على أراضي مصر⁽⁴⁾.

بعد اغتيال تورانشاه وقع الاختيار على شجر الدر لتكون سلطنة، وذلك عقب موافقة رجال الدولة على ذلك وبعد عقد اجتماع عقد بينهم، واقسموا كلهم على الولاء لها كذلك نتج عن هذا الاجتماع أن يتولى عز الدين أيبك⁽⁵⁾. أمور العسكر، ولقد وصلت العامة أخبار تنصيب سلطنة لحكم مصر ومخالفتهم لما تعارف عليه المسلمون في ذلك الزمان، وهو عدم جواز تولي النساء حكم المسلمين بدل الرجال⁽⁶⁾.

(1) الظاهر بيبرس: هو ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي تركي الجنس كان مملوكاً لأحد مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب تولى الحكم عام (607-678هـ / 1210-1279م) = بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص12.

(2) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 635 - 636.

(3) سلامة، إبراهيم خميس إبراهيم: دراسات في الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2002م) ص314.

(4) أبي شامية، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: أحمد البيومي، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1991م) 47/1.

(5) عز الدين إيبك: هو الملك المعز عز الدين إيبك التركماني الصالحي. تولى الحكم في عام (646هـ/1248م) إلى عام (653هـ/1255م) ففي هذا العام قتل في حمام قلعة الجبل بتدبير من زوجته شجرة الدر = بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص9.

(6) سالم، سحر السيد عبدالعزيز ومصطفى مشرفة: دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2005م) ص 227 - 228.

وقد عمدت شجرة الدر إلى عدم إظهار توقعها في المناشير واكتفت بتوقيع "والدة خليل" وفي السكة ظهر اسمها "المستعصمة الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل" وتم الدعاء لها في المساجد بـ "أحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح" وكل ذلك يدل على حرصها على عدم إظهار اسمها كسلطانة، وقد كانت تعمد من وراء ذلك إلى إصاق اسمها بالبيت الأيوبي وهذا ما يفسر تلقبها "بأم خليل صاحبة الملك الصالح"⁽¹⁾.

عقب وصول شجرة الدر للحكم في مصر واجهت معارضة واضحة من الخليفة العباسي المستعصم بالله الذي رفض طلب المماليك بشأن تعيينها كسلطانة، ويتضح ذلك في رده عليهم بقولة "إن كانت الرجال قد عدت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً"⁽²⁾.

لقد أذعنت شجرة الدر للأصوات المعارضة لتوليها أمور السلطنة، وقررت الزواج من عز الدين إيبك الذي تولى أمور الحكم وزمامه في سلطنة المماليك بعد أن قضت في حكم الديار المصرية ثلاثة أشهر⁽³⁾، وفي الحقيقة لم تقدم السلطانة المخلوعة على هذا العمل إلا بشكل ظاهر، حيث أنها عملت منذ البداية على السيطرة على كل قرارات زوجها⁽⁴⁾، ولكن ما لبثت الأمور أن تدهورت بينهما عندما أرسل إيبك إلى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل يطلب منه يد

(1) سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية (بيروت، 1992م) ص158.

(2) حسن، علي إبراهيم: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1967م) ص37، كذلك حمدي حسين: المرجع السابق، ص 157.

(3) البيوزيكي، توفيق سلطان: تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، دار الكتب للطباعة (الموصل، 1975م) ص18، وكذلك تشريجية، جوتس: شجرة الدر سلطانة مصر، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الثانية، العدد التاسع عشر (بيروت، 1980م) ص42.

(4) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس (بيروت، 1987م) ص51.

ابنته⁽¹⁾، ولكنها علمت بهذا الأمر فقررت التخلص منه، فقامت بالاستعانة ببعض الغلمان الذين قضاوا عليه بعد أن انهالوا عليه بالضرب في الحمام بعدما استدرجته بكلام معسول إلى القلعة التي تستقر فيها وكان ذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام (655هـ) إبريل (1257م)، وفي اليوم الثاني انتشر نبأ وفاته، وقام اتباع إيبك المعروفين بالمماليك المعزية، والزوجة الأولى للمغдор به بقتل شجرة الدر بعد فشل المماليك البحرية في حمايتها⁽²⁾، وفور تم اختيار نورالدين علي بن إيبك لتولى زمام الحكم، وكان شاباً آنذاك، وتم تلقيبه بالمنصور⁽³⁾. وفي تلك الأثناء ظهر على مجريات الأحداث المد المغولي الذي يزحف إلى بلاد الشام ومصر، فقام المماليك بتنصيب سيف الدين قطز سلطاناً بعد أن تمّ تحييه نورالدين وكان ذلك في عام (658هـ/1259م)، وتمكّن المغول في تلك الآونة من السيطرة على بلاد الشام، وقام هولاءكو بمراسلة قطز يهدده بالهلاك إذا لم يذعن لمطالبه ويستسلم⁽⁴⁾. ولكن الأخير قرر المقاومة وجهز جيشاً، وأطلق به إلى بلاد الشام باتجاه نهر الأردن، وفي تلك الأثناء تقدم ببيرس إلى عين جالوت، وعمل على مناوشة المغول، ولم يلبث أن وصل قطز ومعه المدد، وحدثت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار باهر للمماليك لقي فيه كتبغا قائد المغول في تلك المعركة حتفه وكان ذلك في 26 من شهر رمضان من عام (658هـ/1260م) ولم يتوقف السلطان قطز عند هذا الانتصار بل واصل زحفه على بلاد الشام وسيطر على كل المدن هناك، وأثناء عودته إلى مصر قتل على يد ببيرس البندقاري ومعه بعض اتباعه من المماليك

(1) علي حسن: المرجع السابق، ص 43.

(2) محمد طقوش: تاريخ المماليك، ص 525.

(3) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص 314.

(4) علي الشطشاط: المرجع السابق، ص 227 - 228.

البحرية، وكان ذلك في 15 ذي القعدة/ 22 أكتوبر عام (658هـ/1260م)⁽¹⁾. بعد اغتيال قطز تولى أمور الحكم في السلطنة بيبرس الذي تم تلقينه بالظاهر ليحكم مصر وبلاد الشام⁽²⁾.

ثانياً: علاقة البيزنطيين بالمماليك البحرية:

1. العلاقة بين الطرفين في عصر الظاهر بيبرس:

لقد انتهجت الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك في عصر الظاهر بيبرس سياسة التقارب والتحالف التي أملت بها طبيعة الظروف السياسية الخاصة بالطرفين⁽³⁾، والتي اقتضتها أيضاً طبيعة العلاقة بين مصر في عصر المماليك ومغول القفجاق (القرن الذهبي) والتي حتمت أن يحدث تقارب بين المماليك والإمبراطورية البيزنطية، في عصر الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس، الذي استطاع إرجاع العاصمة البيزنطية من أيدي اللاتين، ونتيجة لكل ذلك نشئت العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين⁽⁴⁾، بالإضافة إلى الأخطار الخارجية المحدقة بسلطنة المماليك - بسبب التحالف بين المغول والصليبيين - أثراً كبيراً في إقامة حلف بين الإمبراطورية البيزنطية والمماليك ومغول القفجاق⁽⁵⁾. وقد اتبعت سلطنة المماليك في عصر الظاهر بيبرس نفس هذا الأسلوب مع مغول القفجاق حيث تحالفوا معهم ضد مغول فارس، وهذا الأسلوب هو ما يعرف بتقريب عدو الخصم أو التحالف التكتيكي، الذي أوجبه وجود عدو مشترك للطرفين المتحالفين⁽⁶⁾.

(1) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 655.

(2) علي الشطشاط: المرجع السابق، ص 234.

(3) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 271.

(4) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص 61.

(5) المطوي، محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي (تونس، 1982م) ص 131.

(6) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 271 - 272.

لم تقتصر العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك في عصر الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس والظاهر بيبرس على الناحية السياسية فقط، فقد شملت العلاقات الودية الأمور الدينية أيضاً⁽¹⁾، وقد كان من ثمارها إقدام الإمبراطور ميخائيل الثامن على تجديد مسجد القسطنطينية⁽²⁾. الذي كان قد تعرض للتدمير والتحطيم من قبل الصليبيين اللاتين عند قيامهم بغزو الإمبراطورية في عام (601هـ / 1204م)⁽³⁾.

لقد تم إعادة بناء هذا المسجد لكي يقوم فيه المسلمون الموجودون في القسطنطينية بتأدية الصلاة فيه، وأهم هذه الفئات التجار والصناع وغيرهم، وهذا بطبيعة الحال ترك انطباعاتاً جيداً لدى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، الذي ما أن سمع بهذه المبادرة الطيبة من ميخائيل باليولوجوس؛ حتى تكفل بإرسال بعض التجهيزات المهمة مثل: الحصر والقناديل المذهبة والسجادات، والعطور كالمسك والعنبر والمباخر بالإضافة إلى ماء الورد، وكل هذه التجهيزات تدل على مدى اهتمام الظاهر بيبرس بالمساجد، ليست الموجودة داخل إطار الأراضي الموجودة في البلاد الإسلامية فحسب بل حتى الموجودة خارجها⁽⁴⁾.

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 272.

(2) تم بناء هذا المسجد على يد مسلمة بن عبد الملك أثناء مدة خلافة أخيه الوليد، عام (58هـ / 677م) على ما وقع بين المسلمين والروم = بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص 22.

(3) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 61.

(4) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص 62.

قام الإمبراطور البيزنطي من أجل أن يؤكد حسن نواياه تجاه المماليك بمراسلة السلطان
الظاهر بيبرس يطلب منه إرسال شخص يتولى أمور الطائفة الملكانية⁽¹⁾ في العاصمة⁽²⁾.
حيث كُلف بهذا البطريرك الرشيد الكحال، وحدث ذلك في عام (1262م/661هـ)⁽³⁾.

لم تستمر هذه العلاقة الودية بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك، وذلك نتيجة
للظروف الخارجية المحدقة بالطرفين والتي تتمثل في خطر المغول⁽⁴⁾ حيث أن زعيمهم
هولاكو أدرك أهمية تحسين العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية، وذلك ما لهذا الأمر من
آثار ايجابية على سياسة المغول في آسيا الصغرى، فهذا التحالف يحدث نوعاً من المحافظة
على استقرار الأوضاع هناك دون استثثار طرف معين بالسيطرة على المنطقة، سواء
الإمبراطورية البيزنطية أو سلطنة سلاجقة الروم ومن أجل كل هذا عمل هولاكو على إحداث
نوع من التقارب بينه وبين ميخائيل الثامن، لذلك طلب منه أن يبعث له زوجة، وبالفعل قام
ميخائيل بتلبية طلبه، وبعث له ماريًا وهي ابنته غير الشرعية⁽⁵⁾، وهذا التقارب والزواج
السياسي كان الهدف منه تكوين وإنشاء جبهة قوية في مواجهة القوى الإسلامية آنذاك⁽⁶⁾. أيضاً
كان له أثر مهم في توطيد العلاقة بين المغول والبابوية والغرب الأوربي⁽⁷⁾. من الطبيعي أن
يسعى الإمبراطور ميخائيل الثامن إلى التقرب من المغول، الذين قاموا بتدمير قوة السلاجقة

(1) الطائفة الملكانية: هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم، وهم الذين صرحوا بإثبات التتليث، وقد
أخبر عنهم القرآن قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ) سورة المائدة الآية (73) = الشهرستاني،
أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، بن أبوبكر احمد: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار
المعرفة (بيروت، بدون تاريخ) 266/1.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

(3) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 272.

(4) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص62.

(5) محمود عمران: المغول والأوروبيين والصليبيين، ص118.

(6) المرجع نفسه، ص118.

(7) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 670.

في عاصمتهم قونية فعلى الرغم من سعادته بهذا العمل إلا أنه خاف أن يطاله هذا السيل الجارف، ولذلك انتهج هذا النوع من السياسة معهم وبخاصة أن هولاءكو كان يهدف إلى السيطرة على العديد من المناطق في آسيا الصغرى ولذلك عمل على التوسع في تلك المناطق التي كانت تحت سيطرة كل من الفرنج والإغريق والأرمن، انطلاقاً من هذا كله عمل ميخائيل جاهداً على تحسين علاقته بهولاءكو ولو على حساب علاقته بالمماليك الذين ارتبط معهم بعلاقات ودية⁽¹⁾، وليس أدل على ذلك من إقدام الإمبراطور ميخائيل الثامن على قطع أوامر الصداقة مع المماليك، وذلك عندما قام باعتقال مبعوثين من قبل السلطان بيبرس إلى بركة خان زعيم مغول القفجاق⁽²⁾، وقد كان ذلك في عام (1264هـ/663م) ولقد جعل هذا التصرف بركة خان يناصر العداء للإمبراطورية البيزنطية⁽³⁾.

لقد اندلعت الحرب بين الإمبراطورية البيزنطية ومغول القفجاق "القرن الذهبي" نتيجة للأسباب السالفة الذكر، وقد قام القيصر البلغاري بالوقوف مع جيش مغول القفجاق في ذلك الصراع وقد حدثت بين الطرفين معركة تمكن فيها الحلفاء من إلحاق الهزيمة بالبيزنطيين، وقد تولى قيادة الحلفاء في هذه المعركة نوجاي أحد قادة مغول القرن الذهبي، وبعدها قام ميخائيل بقطع كل أوامر الترابط العلاقات التي تربطه بهولاءكو ومغول فارس، ورأى أنه من الأجدر أن يقوم بتجديد أوامر الصداقة مع سلطنة المماليك وحلفائهم مغول القفجاق ومن أجل ذلك قام بتزويج إحدى بناته إلى القائد نوجاي وهكذا عادت الأمور إلى سابق عهدها بين الإمبراطورية البيزنطية، وسلطنة المماليك ومغول القفجاق⁽⁴⁾، وبخاصة بعد أن قام الإمبراطور البيزنطي

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص62.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

(3) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص62.

(4) المرجع نفسه، ص62.

بإطلاق سراح المعتقلين المماليك، لكي يواصلوا طريقهم، ولكي يعبر عن أسفه عما حدث قام بإرسال الهدايا للسلطان المملوكي من أجل كسب وده⁽¹⁾.

هذه هي السياسة التي تركزت عليها العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك في عصر كل من الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس والسلطان الظاهر بيبرس، والتي يتضح من خلالها مدى تأثير الظروف المحيطة على الطرفين، والتي انعكست على طبيعة العلاقة بينهما وبالتالي تذبذبها.

2. علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك في عصر أسرة قلاوون:

بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس في دمشق في عام (1277/هـ676م)⁽²⁾. جراء تعرضه للمرض⁽³⁾، وتولى حكم سلطنة المماليك ابنه الملك السعيد ثم تولى الحكم من بعده أخوه سلامش في عام (1279/هـ678م) تمت تنحيته ليتولى أمور الحكم السلطان المنصور قلاوون⁽⁴⁾ في نفس العام⁽⁵⁾.

لم تنقطع العلاقة الودية بين الإمبراطورية في عصر إمبراطورها ميخائيل الثامن مع سلطنة المماليك عندما تولى السلطان المنصور قلاوون شئون الحكم فقد تم عقد معاهدة بين

(1) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

(2) ابن الوكيل، يوسف الملوني: تحفة الأحاباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، دار الأفاق العربية (القاهرة، 1999م) ص61

(3) الدمشقي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن احمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الارناؤوط، دار ابن كثير (دمشق - بيروت، بدون تاريخ) 610/7.

(4) سيف الدين قلاوون: هو الملك المنصور قلاوون الاقسي الصالحي النجمي، تولى الحكم عام 1279/هـ678م كان ذا بأس وشجاعة وحرر العديد من المدن المحتلة الواقعة تحت قبضة الفرنج توفي عام 1289/هـ688م= ابن الوكيل: المصدر السابق، ص62.

(5) المصدر نفسه، ص62.

الطرفين، وذلك عندما بعث الإمبراطور ميخائيل برسالة إلى السلطان المملوكي في شهر رمضان من عام (680هـ/ الموافق ديسمبر من عام 1281م)⁽¹⁾.

لقد احتوت هذه الرسالة على العديد من الأمور المهمة بالنسبة للطرفين، والتي كانت وليدة الظروف المحيطة بكلا الدولتين في ذلك الوقت، ومن أهم الأمور التي تناولتها الرسالة، النواحي السياسية، والدفاعية، والاقتصادية والتي كانت تأثيراتها واضحة على العلاقة بين الجانبين⁽²⁾.

قام السلطان المنصور قلاوون بالرد على الرسالة التي بعثها له الإمبراطور ميخائيل، وقد تضمنت العديد من الجوانب المهمة بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية، وسلطنة المماليك، حيث شملت الجوانب، التي تم التطرق لها في الرسالة الأولى⁽³⁾.

هذه هي أهم الجوانب التي تم عرضها في المراسلتين التي تمت بين الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس والسلطان المنصور قلاوون، والتي يتضح من خلال تبادلهما رغبة الطرفين في استمرار حسن العلاقة بينهما، وانتهاج الجانب الدبلوماسي السلمي فيها كواقع فرضته الأحوال في العالمين البيزنطي والإسلامي⁽⁴⁾.

لم يحدث أي توتر في العلاقات التي تربط الإمبراطورية بسلطنة المماليك عندما ارتقى العرش الإمبراطوري اندرونيقوس الثاني عام (681هـ/1282م)، بل على العكس من ذلك قام الإمبراطور البيزنطي بالإعراب عن نيته في مواصلة العلاقة الودية مع سلطنة المماليك وذلك عندما قام بإرسال الهدايا لهم، وقد رد على هذه المبادرة بإعطاء المبعوثين الكثير من

(1) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 294.

(2) القلقشندی، أبو العباس احمد: صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1923م) 72 / 14 - 75.

(3) المصدر نفسه، 75-78 / 14.

(4) لمزيد من المعلومات عن المراسلتين يمكن الاطلاع عليهما في الملاحق ملحق رقم (4) ص 152-159.

الهباء⁽¹⁾. ولقد استمر هذا الوضع حتى نهاية عهد السلطان المنصور قلاوون، بل حتى عندما تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الحكم⁽²⁾ والذي شهدت السلطنة في عصره ازدهاراً كبيراً وذلك يتضح من خلال السياسة الخارجية التي اتبعتها السلطنة، والتي كان لها دوراً كبيراً في رفع مكانتها وزيادة نفوذها في ذلك الحين⁽³⁾.

كان الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس الثاني يهدف من وراء إرسال السفارة إلى السلطان الناصر إلى تحسين أوضاع النصارى الملكيين القاطنين في أراضي السلطنة⁽⁴⁾. كذلك طلب الإمبراطور البيزنطي من السلطان الناصر أن يمنحهم الكنيسة التي تم الاستحواذ عليها من قبل المماليك في وقت سابق، ولكن السلطان قلاوون لم يوافق السلطان على ذلك، إلا أن الإمبراطور أندرونيقوس لم يأس وقام بتكرار الطلب عدة مرات، ولم يُلبى السلطان هذا الطلب إلا بعد أن تدخل فقهاء الأمة برأيهم القائل بأنه لا يحق الاستحواذ على الكنيسة، وكذلك قام السلطان المملوكي بتحسين معاملته مع البيزنطيين وذلك عندما سمح لهم ببناء كنائس جديدة في البلاد الإسلامية⁽⁵⁾، وأيضاً أعطاهم الأذن بفتح كنيسة بيت المقدس مرة أخرى⁽⁶⁾، وكل هذه الأعمال كانت نتيجة لطلب الإمبراطور البيزنطي الذي قام بإرسال الهدايا إلى السلطان المملوكي، والجدير بالذكر أن هذا الأسلوب الذي أتبعه الإمبراطور أندرونيقوس، وهو إرسال الهدايا لم يتوقف بل واصل بعثها إلى الناصر محمد من مدة إلى أخرى، وكان للجانب الأمني

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 273.

(2) محمد بن قلاوون: هو الناصر محمد بن قلاوون الألفي تولى الحكم بعد مقتل أخيه الاشراف عام 1292/691هـم تولى الحكم علي ثلاثة مراحل متقطعة انتهت بوفاته عام 1341/742هـم= ابن الوكيل: المصدر السابق، ص 62-63.

(3) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص 273.

(4) علي حسن: المرجع السابق، ص 183.

(5) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 273-274.

(6) علي حسن: المرجع السابق، ص 183-184.

الدفاعي دوراً كبيراً في حرص الإمبراطورية على استمرار الصداقة مع سلطنة المماليك، وذلك من أجل الحد من خطر التركمان، في مناطق آسيا الصغرى، ونفاذي الدخول في أي صراع مع المماليك وخسارة صداقتهم والحلف معهم، وذلك امتنعت الإمبراطورية عن الدخول في المخطط الصليبي الذي تزعمه البنادقة والذي يسعى لتدمير سلطنة المماليك اقتصادياً وذلك حتى يسهل عليهم السيطرة عليها عسكرياً، وبالتالي الزحف على الأماكن المقدسة في بلاد الشام كي يمكن السيطرة عليها⁽¹⁾.

قام الإمبراطور اندرونيقوس بإقامة تحالف مع سلطنة المماليك، وذلك من أجل الحد من خطر العثمانيين الذين بدأوا يجتاحون بلاده، وهذا يدل على ما كانت تتمتع به سلطنة المماليك من قوة، وهذا اتضح حلياً بعد هزيمة السلطان الناصر محمد للمغول، الذين كانوا ييغون السيطرة على البلاد العربية الإسلامية، وقد أعطى هذا الانتصار انطباعاً عند حكام أوروبا والإمبراطورية البيزنطية بأن السلطان المملوكي هو خير حليف يمكن الاعتماد عليه في التصدي للمد العثماني⁽²⁾.

استمرت العلاقة الودية التي تربط الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك حتى بعد وفاة السلطان الناصر محمد، وليس أدل على ذلك من قيام الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس⁽³⁾ (755-778هـ/1354-1376م) خلال مدة حكمه الثانية⁽⁴⁾ ببعث سفارة إلى سلطنة

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 274.

(2) علي حسن: المرجع السابق، ص 184.

(3) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص 274.

(4) أسامة زيد والأمين أبو سعده: المرجع السابق، ص 470.

المماليك، وذلك من أجل التخفيف من شدة وطأة الحملة التي قادها بطرس لوزنيان⁽¹⁾، الذي كان يحكم قبرص⁽²⁾، عام (1365/هـ767م) والتي نتج عنها التكتيل بالمصريين⁽³⁾.
هذه هي ملامح العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية، وسلطنة المماليك البحرية بكل سماتها والتي غلب عليها الطابع الودي على الرغم من الاضطراب الذي شهدته في بداية الأمر.

ثالثاً: علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك البرجية (الجراكسة):

لم تكن العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك البرجية مليئة بالأحداث، وذلك يعود لقصر المدة الزمنية التي عاصرت فيها الإمبراطورية البيزنطية سلطنة المماليك البرجية في المدة ما بين سنة (782-857هـ إلى 1380 - 1453م)⁽⁴⁾.

تم تسمية المماليك البرجية بهذا الاسم، وذلك لتربيتهم في أبراج القلعة، والجدير بالذكر أن غالبية العنصر المملوكي في هذه السلطنة (البرجية) هم من الجراكسة، على عكس السلطنة (البحرية) والتي كان غالبية ممالكها من أصول الأتراك (القفجاق) ولكن هذا لا يعني عدم وجود عنصر ثالث من المماليك غير الأتراك والجراكسة، فهناك أيضاً العنصر المغولي، والذين جاءت منهم أعداد كبيرة زمن السلطنة البحرية، وقد كان لهم دوراً كبيراً في سياسة

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص274.

(2) جوزيف يوسف: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1988م) ص 99، كذلك محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص689.

(3) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص274.

(4) علي حسن: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلي الفتح الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1993م) ص227.

السلطنة، لدرجة أن أحدهم ويدعى كتبغا تولى حكم السلطنة وكان ذلك في عام (694-
1294/هـ-1296م)⁽¹⁾.

انتهجت سلطنة المماليك البرجية في سياستها الخارجية نفس النهج الذي سارت ودأبت
عليه سلطنة المماليك البحرية، وقد انطبق ذلك حتى على علاقتها بالإمبراطورية البيزنطية،
فقد كان للعلاقات الودية السلمية أثراً واضحاً في الصلات بين الطرفين، حيث أن يوحنا
الخامس بعث الهدايا إلى السلطان الظاهر برقوق⁽²⁾ في عام (1385/هـ-787م)، كما أن
الإمبراطور البيزنطي كان يسعى من وراء ذلك إلى تحسين وتدعيم العلاقات مع سلطنة
المماليك، وهذا ما جعله يطلب من السلطان المملوكي من خلال هذه السفارة أن يكون لهم
ممثلاً في الإسكندرية، وهو بذلك يحذو حذو البنادقة الذين كان لهم مثل ذلك⁽³⁾، ومن المعروف
أن البندقية ومنافساتها من المدن الإيطالية جنوه وبيزا كانت ذات ثقل كبير من الناحية
الاقتصادية، وذلك منذ فترات نشاط الحروب الصليبية⁽⁴⁾.

من الواضح في تلك المدة أن العلاقات البيزنطية المملوكية كانت محددة الجوانب حيث
أنها لم تشمل النواحي السياسية والعسكرية، وذلك يرجع إلى انشغال الإمبراطورية البيزنطية

(1) كاشف، سيدة إسماعيل وآخرون: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية، الهيئة
المصرية للكتاب (القاهرة، 2001م)، ص 397.

(2) الظاهر برقوق: هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن أنص العثماني وسمي برقوق لجحوظ عينيه،
هو أول السلاطين الجراكسة تولى الحكم مرتان الأولى في عام (1390/هـ-784م) وتولى الحكم مرة أخرى في
عام (1384/هـ-784م) وعزل في عام (1390/هـ-790م) وتولى الحكم مرة أخرى في عام (1389/هـ-792م)
واستمر في الحكم إلي حين وفاته في عام (1399/هـ-799م) = ابن الوكيل: المصدر السابق، ص 65 - 66

(3) سعيد عاشور: العصر المملوكي في مصر والشام، ص 274 - 275.

(4) رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون (1516-1916م) (دمشق، 1974م) ص 23.

بحماية أرضيها من أطماع العثمانيين في تلك الآونة⁽¹⁾ كذلك انشغال سلطنة المماليك في عصر الظاهر برقوق بخطر جيش التتار بقيادة نيمورلنك⁽²⁾ حينها⁽³⁾، الذي كان يحكم خراسان وبلاد ما وراء النهر وغيرها من المناطق الواقعة شرق البلاد الإسلامية⁽⁴⁾.

لذلك قام المماليك بعقد تحالف مع بعض القوى مثل مغول القفجاق والعثمانيين، وذلك بهدف التصدي لهذا الخطر، وقد تم توجيه جيش يقوده الظاهر برقوق إلى العراق في عام (1396/هـ797م) بغية مواجهة جيش تيمورلنك، ولكن لم يصطدم الطرفان وذلك لأن الأخير عاد أدراجه إلى الشرق، مما دعى الظاهر للعودة أيضاً⁽⁵⁾.

رابعاً: الآثار المترتبة على العلاقات البيزنطية المملوكية:

لقد ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية بعلاقة ودية في كثير من فتراتهما مع سلطنة المماليك، على الرغم من تفاوت العلاقة والاحتكاك هذه إبان السلطنتين، ومن الواضح أنها علاقة كانت مبنية على المصالح أو بالأحرى فرضتها طبيعة الظروف الصعبة المحدقة بالطرفين: سواء سياسية أو اقتصادية أو دينية ومن الطبيعي أن ينتج عن هذا الاحتكاك بعض النتائج تتمثل: في الآثار السياسية والاقتصادية وهي على النحو التالي:

1. الآثار السياسية.

(1) أنيس، محمد: الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1999م) ص42-43.

(2) تيمورلنك: هو تيمور بن ترغلي بن بغلي، مسقط رأسه قرية تسمى خواجه ايلغار الواقعة في بلاد ما وراء النهر = ابن عرشاه، شهاب الدين أحمد: عجائب المقدور في أخبار تيمور، مطبعة دوكاند في بندر كلكتة، 1882م) ص3.

(3) شاكر محمود: التاريخ الإسلامي العهد المملوكي (656-923هـ) المكتب الإسلامي (بيروت، 1991م) ص73.

(4) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص164.

(5) محمود شاكر: المرجع السابق، ص 73 - 74.

يمكن حصر الآثار السياسية للعلاقات البيزنطية المملوكية في الآتي:

أ. جلاء الصليبيين عن بلاد الشام:

لقد عمل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجوس على كسب ود سلطنة المماليك التي كان يحسب لها حساباً كبيراً في ذلك الوقت بحكم ما تمتلكه من قوة، وكان ميخائيل يسعى جاهداً إلى عدم الخوض في صراع مع سلطنة المماليك وذلك لأنه يتحاشى الدخول في صراع على كل الجبهات وبخاصة أنه كان يتوقع حدوث هجوم مفاجئ على القسطنطينية من قبل الصليبيين اللاتين⁽¹⁾، وذلك مرجعة الخلاف الديني بين غرب أوروبا وشرقها⁽²⁾، وهو ما نتج عنه رغبة اللاتين في ضم عاصمة البيزنطيين كثيرة الموارد إلى ممتلكاتهم وإشراكها في نزاعهم مع المسلمين وهذا ما حدث فعلاً في عام (1204م/601هـ)⁽³⁾، وقد استطاعوا بالفعل تحقيق هدفهم⁽⁴⁾، وانطلاقاً من كل ذلك عمل الإمبراطور البيزنطي على أن يبين للسلطان بيبرس حسن نواياه حيث أنه بادر بمراسلته طالباً منه أن يبعث له من يتولى أمور الطائفة الملكانية في القسطنطينية، بالإضافة إلى إن الإمبراطور قام بإعادة بناء مسجد القسطنطينية على النحو الذي تم ذكره سلفاً⁽⁵⁾.

(1) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

(2) إسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف (القاهرة، 1982م) ص13.

(3) باركر ارنست: الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الغريني: دار النهضة العربية (بيروت، 1967م) ص102 - 103، كذلك Jeffrey D.BruBAker: Byzantine diplomacy p110-111.

(4) زكار، سهيل الموسوعة: الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق، 1995م) 113 / 10 - 114.

(5) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

لقد كان السلطان المملوكي يهدف من وراء التحالف مع الإمبراطورية البيزنطية إلى كسر شوكة الصليبيين في بلاد الشام وحلفائهم اللاتين الذين كانوا خير حليف لهم في صراعهم مع المسلمين⁽¹⁾. ومن المعروف تاريخياً أن جهود المماليك ضد الصليبيين في بلاد الشام تعتبر استمراراً لدورهم النضالي والجهادي منذ الحملة الصليبية السابعة التي قادها لويس التاسع الفرنسي على مصر عام (1248/هـ646م) حيث كان لهم دوراً مهماً في هزيمة الصليبيين في نهاية الحملة⁽²⁾.

بعد أن اطمئن السلطان الظاهر بيبرس لعدم مساندة الإمبراطورية البيزنطية للإمارات الصليبية في بلاد الشام وقام بمواصلة جهود السلاطين الأيوبيين في مواجهة الصليبيين فعقد العزم وأعد العدة لهذا الهدف، عندئذ قامت بعض المدن بإعلان السلم معه، ومن بين هذه المدن بيروت ويافا⁽³⁾، وقد تمكن بيبرس من السيطرة على قلعة أرسوف جنوب قيسارية⁽⁴⁾. إضافة إلى قيسارية نفسها، وبعدها استطاع الاستيلاء على صفد⁽⁵⁾، سلماً ثم تمكن من تحرير بعض المدن مثل يافا، وقد كان ذلك في عام (1268/هـ666م) ثم دخل وجنوده، مدينة إنطاكيا

-
- (1) نعنيع، سهير محمد إبراهيم: الحروب الصليبية المتأخرة - حملة بطرس لوسنيان على الإسكندرية (1365/هـ767م) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 2002م) ص 54.
- (2) اقجام، عزيزة سليمان عبدالله: المظاهر الحضارية في دولة المماليك البحرية (648-784/هـ1250-1382م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس، سنة 2010م، ص18، 20.
- (3) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين استولى عليها الفرنج عام (1191/هـ587م) بعد أن فتحها صلاح الدين ثم استفادتها منعم الملك العادل أبوبكر أيوب عام (1196/هـ593م). = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 426/5.
- (4) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام وتعد من أعمال فلسطين = المصدر نفسه، 421/4.
- (5) صفد: مدينة في جبال عاملة المطلّة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان = المصدر نفسه، 412/3.

بعد أن رفضوا السلم، هذه أهم المدن التي استطاع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس تحريرها من قبضة المدن خلال مدة حكمه لسلطنة المماليك⁽¹⁾.

أما فيما يخص عصر السلطان المنصور قلاوون، فقد عمل على استكمال ما بدأه السلطان بيبرس فيما يتعلق بالصلبيين، ومن أجل ذلك قام بسلب الصليبيين حلفائهم وأعدائهم وهم البيزنطيين⁽²⁾، وذلك يتضح من خلال المعاهدة التي عقدها مع الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس.

قام السلطان قلاوون بالهجوم على حصن المرقب⁽³⁾، على الرغم من الهدنة التي كانت معقودة بين الطرفين والتي نقضها الفرسان الاسبتارية - إحدى الفرق الصليبية - بوقوفهم إلى جانب المغول في عام (1281م/680هـ)، ولقد انتظر السلطان قلاوون حتى ينتهي من صراعه مع المغول لكي يقوم بتصفية الحساب مع ناقضي الهدنة الاسبتارية، وقد كان له ما أراد وذلك بسيطرته على الحصن في عام (1285م/684هـ) كذلك تمكن السلطان المنصور قلاوون من السيطرة على اللاذقية التابعة لإمارة أنطاكية القديمة، وكان ذلك في عام (1287م/686هـ) وقام بعدها بعامين بتجهيز قوة كبيرة معدة بشكل جيد. من أجل تحرير المدينة مهما طالت فترة الحملة والدليل على ذلك أنه اصطحب معه آلات الحصار من أجل ذلك، بعد حصار المدينة لأكثر من شهر استطاع السلطان قلاوون فتح المدينة وقد كان ذلك في شهر ابريل⁽⁴⁾.

(1) علي حسن: مصر في العصور الوسطى، ص 212.

(2) الجافل، ناصر محمد حامد: السياسة الخارجية لدولة المماليك البحرية (1250 - 1382م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس، خلال العام الجامعي 2005 - 2006م، ص 146.

(3) هو بلد وقلعة حصينة على ساحل بحر الشام = أبو الفداء: التبر المسبوك، ص 84.

(4) ناصر الجافل: المرجع السابق، ص 147 - 149.

لقد قام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (689-693هـ/1290-1293م)⁽¹⁾ بتجهيز قوة كبيرة مجهزة بكافة الأسلحة مكونة من فرسان ومشاة وتوجه بهم في ربيع عام (690هـ/1291م) صوب مدينة عكا⁽²⁾ وخاض مع الصليبيين قتالاً لأكثر من ثلاثين يوماً وبعدها أصبحت أبراج المدينة على وشك السقوط، واستمر جند السلطان بمواصلة الضغط على المدينة حتى تمكنوا من فتحها⁽³⁾، علماً بأن هذا اليوم الذي تم فيه فتح المدينة هو 17 جمادي الآخرة عام (690هـ/1291م) يصادف نفس التاريخ الذي تمكن فيه الصليبيون من احتلال المدينة⁽⁴⁾، ولقد ترك فتح عكا انطباعاً حسناً عند المسلمين، وكان له أثر واضح في الصراع الإسلامي الصليبي آنذاك⁽⁵⁾.

تمكن السلطان الأشرف بن قلاوون بعدها من فتح باقي المعاقل الصليبية مثل: صور وصيدا وبيروت وحصن جزيرة أرواد وهو آخر المعاقل الصليبية في بلاد الشام⁽⁶⁾، وهكذا انتهت الحروب الصليبية في مشرق البلاد الإسلامية، وتم تطهير البلاد من الصليبيين، والذي ما كان ليحدث لولا عزلهم للصليبيين وتجريدهم من أي قوة يمكن التحالف معها مثل:

-
- (1) هو الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، كان قد تولى الحكم بعد وفاة والده في القعدة عام (689هـ/1290م) = بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص 91، 96.
 - (2) عكا: اسم بلد على ساحل الشام وهي من أعمال الأردن = ياقوت الحموي: المصدر السابق، 143/4.
 - (3) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص 339-342.
 - (4) الحريري، سيد علي: الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة، 1985م) ص 355.
 - (5) المطوي، محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار المغرب الإسلامي (تونس، 1982م) ص 141.
 - (6) رمضان، عبدالرحيم: الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف (القاهرة، 1983م) ص 528، كذلك محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 686.

الإمبراطورية البيزنطية، وذلك عندما تحالفت السلطنة معها⁽¹⁾. وكذلك الحيلولة دون وصول أي إمدادات أو مساعدات للقوى الصليبية من أي مكان⁽²⁾.

خريطة رقم (4)

توضح (موقع الإمارات الصليبية ببلاد الشام)

عن كتاب (اثر العامل الديني لمؤلفة محمد منصور) ص 441

(1) مصطفى، نادية محمود وآخرون: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى الجهة الأوروبية الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (القاهرة، 1996م) ص 27.

(2) عوض، محمد مؤنس: الحروب الصليبية (العلاقة بين الشرق والغرب) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 1999م) ص 330 - 331.

ب. إفشال مخطط شارل الانجوي في السيطرة على القسطنطينية ومصر:

تمكن ميخائيل الثامن من استرجاع عاصمة البيزنطيين، ومع هذا لم تعد بوضعيتها السابقة، حيث أنها أصبحت ضعيفة جراء تعرضها للسرقة عام (1204م/601هـ) بعد هجوم الصليبيين عليها⁽¹⁾. حيث أنها تعرضت كما سبق الذكر لهجوم من جانب الصليبيين اللاتين الذين طردوا عدد كبير من سكانها⁽²⁾، بالإضافة إلى أنه كان يريد أيضاً مهاجمة مصر، ولقد عمل شارل جاهداً على كسب ودّ البابوية وتأليب العامة في غرب أوروبا على الإمبراطورية البيزنطية، بهدف توجيه أنظارهم إليها بدلاً من الأماكن المقدسة في بلاد الشام، وقد استنطاع

(1) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص 295، كذلك Byzantine empire from wikipedia p24.

(2) الدمشقي: المصدر السابق، 5/7.

أن يقنع البابوية بمشروعه⁽¹⁾. بينما قام ميخائيل الثامن بعقد حلف مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس⁽²⁾، عام (1262/هـ661م).

لقد قام شارل بعقد تحالف مع الصرب والبلغار وإمارة الآشيا الكبرى، ومن أجل أن يقوم الإمبراطور ميخائيل الثامن بالتصالح مع البابا الذي كان لا يطمئن لتنامي قوة شارل الأنجوي وفي الوقت نفسه، رأى الفرصة مواتية لوضع الكنيسة الشرقية (القسطنطينية) تحت سيطرة البابوية وبالفعل قام بالموافقة على ذلك في مجمع ليون عام (1274/هـ673م) والذي عقده مع البابا جورجوري العاشر، مقابل اعتراف البابا بحكم ميخائيل للقسطنطينية، أي أن ميخائيل أعطى لنفسه الشرعية الدينية لحكم الإمبراطورية، وبخاصة بعد ضم الكنيستين لسلطة البابا، وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي بواسطة هذه الترتيبات أن يلحق الهزيمة بجيوش شارل في ابيروس، ولكن الأخير تمكن من ترتيب صفوفه هناك وكون حلفاً جديداً، جذب فيه العديد من الأطراف لصالحه من بينهم: الصرب، والبلغار حلفاؤه السابقين، وإمارة ابيروس، والبنادقة، والبابا، وبخاصة بعد فشل ضم الكنيستين بسبب معارضة أهالي الإمبراطورية البيزنطية والصلبيين اللاتين⁽³⁾، ومرد ذلك رفض الكنيسة التابعة للإمبراطورية البيزنطية لمشروع الضم⁽⁴⁾، حيث أن النفور كان واضحاً بين الكنيسة الشرقية والغربية،

(1) اليوسف، عبدالقادر أحمد: علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، منشورات المكتبة المصرية (صيدا- بيروت، 1969م)، ص214.

(2) العبادي، احمد مختار: في التاريخ الأيوبي والمملوكي في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت، 1995م) ص172.

(3) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص226.

(4) Fr. John Meyendorfr: Theology in the thirteenth century. P8 .

وبخاصة أن أصحاب الكنيسة الشرقية أكرهوا على سياسة التقارب بين الكنيستين ولم يكونوا موافقين عليها⁽¹⁾.

لقد استطاع ميخائيل الثامن الانتصار على الحلف المكون ضده، ومن أجل أن يزيد في مشاكل شارل حاك ضده مؤامرة عرفت بالثورة الصقلية⁽²⁾. في عام (1282/هـ681م)⁽³⁾، والتي من خلالها تمكّن الإمبراطور ميخائيل الثامن من الحد من خطر شارل الانجوي ويعزو نصر البيزنطيين هذا إلى السياسة الحكيمة التي اتبعتها إمبراطورهم ميخائيل الثامن، وذلك عندما عمل على كسب ود أهم قوة إسلامية في ذلك الوقت وهي سلطنة المماليك حتى يتمكن من التفرغ والقضاء على أي خطر يهدد الإمبراطورية، أي أن هذا النصر ما كان ليتحقق لو قام بمعاداة القوة الإسلامية الصاعدة في ذلك الوقت⁽⁴⁾.

ج. الحد من الخطر المغولي على الأراضي البيزنطية والإسلامية:

من المعروف أن العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك كانت وليدة الظروف السياسية المحيطة بكل الطرفين، فعلى سبيل المثال: كان الظاهر بيبرس ينظر لتحسين علاقته بالبيزنطيين على أنها خير وسيلة وفرصة لكسب حليف ضد الوجود الصليبي

(1) عمر توفيق ومحمود وعمران: المرجع السابق، ص226.

(2) بدأت هذه الثورة في 30 مارس من عام 1282/هـ682م في صقلية عرفت بالصلوات الصقلية (sicilian vespers) بدأت بحدث قتل جرى في كاتدرائية الروح القدس في بالرموز وانتقلت تلك الثورة من جند شارل الأنجوي وحاشيته وموظفيه وسائر الفرنسيين بالمدينة وأدت هذه الثورة إلى انفصال صقلية عن نابولي الفرنسية وقضت على مشروعاتها شارل ضد الإمبراطورية البيزنطية = حسنين ربيع = المرجع السابق، ص292-293.

(3) عمر توفيق ومحمود وعمران: المرجع السابق، ص226.

(4) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

في بلاد الشام⁽¹⁾، والخطر المغولي (مغول فارس) والذين أصبح خطرهم يزداد بعد معركة عين جالوت (1260م/659هـ)⁽²⁾. بينما كان الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجوس يرى في التحالف مع سلطنة المماليك ضرورياً، وذلك حتى يتمكن من التغلب على الخطر الخارجي، والذي يتركز في الخطر الصليبي اللاتيني الذي يتهدد إمبراطوريته وانطلاقاً من كل ذلك قامت المراسلات التي سبقت الإشارة إليها والتي حدثت بين الطرفين في عام (1262/661هـ)⁽³⁾.

في إطار هذه التجاذبات السياسية عمل هولالكو على التقرب من الإمبراطورية البيزنطية ومن خلال إمعان النظر في طبيعة الظروف السياسية في ذلك الوقت، تتضح الأسباب التي ساعدت على هذا التقارب الذي تم ترجمته بالزواج السياسي الذي تم بين الطرفين والمشار إليه سابقاً⁽⁴⁾، وفي مقدمة هذه الأسباب، انتصارات هولالكو على سلطنة سلاجقة الروم (المسلمين)⁽⁵⁾، كما أن لغزو المطول للأراضي التابعة للسلاجقة أثراً مهماً في انشغال الطرف الأخير عن الهجوم على المناطق البيزنطية عندما كانت عاصمتها نيقيا، حيث أنهم توقفوا عن ذلك في مدة معينة⁽⁶⁾. وانطلاقاً من أن سلطنة المماليك كانت تتصبب العداء للمغول، فقد قامت الإمبراطورية البيزنطية بناءً على ذلك بتعكير صفو علاقتها بسلطنة المماليك، باعتبار أنهم أعداء لحلفائهم المغول وخشية من توتر العلاقة معهم⁽⁷⁾، وكذلك عندما قامت بالاصطدام مع

(1) سهير نعينع: المرجع السابق، ص54.

(2) ناصر الجافل: المرجع السابق، ص30.

(3) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص293.

(4) محمود عمران: المغول والأوروبيون والصليبيون، ص118.

(5) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص61-62.

(6) Byzantine empire from wikipedia, p24

(7) عاشور، فادي حماد محمد: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي (طرابلس،

1995م) ص276.

مغول القفجاق، ولكن سرعان ما عادت الأمور إلى مجاريها بين الإمبراطورية البيزنطية، وسلطنة المماليك⁽¹⁾، والسبب في ذلك الهزيمة التي حلت بهم من قبل تاتار القرن الذهبي ومعهم البلغار⁽²⁾، وقد تأزم موقف المغول وأزداد صعوبة في ذلك الوقت، عندما تمت المصالحة بين الإمبراطورية البيزنطية والمماليك؛ لأنهم خسروا خير حليف لهم في المنطقة⁽³⁾.

بعد أن توفي هولاقو زعيم المغول في عام (1265/هـ663م)، تولى الحكم من بعده ابنه أباقا، الذي سعى إلى إعادة توحيد الجهود مع الأوربيين، عندما طلب منهم عقد تحالف عسكري معهم ضد المسلمين⁽⁴⁾.

لقد انتعشت العلاقة بين مغول فارس والبابوية والغرب الأوروبي وبخاصة بعد المراسلات التي حدثت بينهم، والتي كانت في مجملها تتركز حول تكوين جبهة قوية ضد المسلمين⁽⁵⁾، وبخاصة عندما سعى أباقا إلى عقد حلف مع البابوية والغرب الأوروبي، وهما العدو المباشر لكلاهما⁽⁶⁾.

لم تؤت المراسلات والوفود المتبادلة بين المغول والأوربيين الهدف المرجو منها، وذلك يرجع إلى عدة أسباب أهمها انشغال الطرف الأوروبي بالأزمات الداخلية سواء التي واجهت الحكام أو البابوية، وأيضاً تعرض المغول للأخطار التي تهدد دولتهم من الخارج، وقد

(1) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص272.

(2) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص62.

(3) المرجع نفسه، ص62.

(4) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص670، كذلك عبد المنعم، صبحي: المغول والمماليك السياسية والصراع (سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دول المماليك في مصر والشام (716-736هـ/1316-1335م) العربي للنشر والتوزيع (القاهرة، 2001م) ص24.

(5) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص670.

(6) المرجع نفسه، ص671.

ترتب على هذا كله فشل التحالف المغولي الأوروبي وبالتالي عمل أباقا على التصدي للأخطار الخارجية المهددة لدولته منفرداً، وهذا أدى إلى انشغالهم عن الهجوم على الأراضي الإسلامية. كما أن محاولات توحيد الجهود بين المغول والصليبيين والبابوية في تشكيل خطر على الأراضي الإسلامية في عهد السلطان المنصور قلاوون قد باءت بالفشل⁽¹⁾. لم يحدث أي تغيير في علاقة المغول بأوروبا في عصر أرغون⁽²⁾. الذي واصل تطبيق سياسة اسلافه وهي توحيد الجهود مع الأوروبيين ضد عدوهم المشترك وهم المسلمون، وقد طلب منهم في عام (1287/هـ687م) مساعدته في الهجوم على أراضي سلطنة المماليك، وقد تم تبادل السفارات من أجل هذا الأمر⁽³⁾. ولكن كل الجهود المبذولة من طرف المغول والصليبيين لم تؤت ثمارها⁽⁴⁾. وبالتالي انتهى التهديد المغولي للأراضي المملوكية⁽⁵⁾، ومن الطبيعي أن يكون الخطر قد زال أيضاً عن حلفاء المماليك وهم البيزنطيين.

2. الآثار الاقتصادية المترتبة على العلاقات البيزنطية المملوكية:

-
- (1) محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص 670 - 673.
 - (2) أرغون: هو أرغون بن أباقا بن هولاقو، صاحب العراق وخراسان وأذربيجان، تملك بعد عمه أحمد وكان شديد البأس سفاكا للدماء عظيم الجبروت يقال انه قتل مسموما علي يد وزيره سعيد الدولة اليهودي، وقد كان ذلك في عام 1290/هـ690م = الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الدمشقي: العير في خير من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسويوني زغلول: دار الكتب العلمية (بيروت، 1985م) 3/372.
 - (3) عبد القوي، زينب عبد المجيد: الانجليز والحروب الصليبية في الفترة من 1189-1291، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 1996م) ص 234.
 - (4) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 676.
 - (5) السيد العربي: المماليك، دار النهضة العربية (بيروت، بدون تاريخ) ص 51.

قد شملت النتائج التي تمخضت عن العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك، وجود نوع من التقارب والتعاون والتجاذب بين الطرفين سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي للجانبين. وهذا يتضح من خلال الآتي:

أ. المعاملة الحسنة لتجار الطرفين في كلا البلدين:

شملت العلاقات المملوكية البيزنطية الجانب التجاري منذ أن كان ميخائيل باليولوجوس إمبراطوراً، وقد كانت المتاجرة بالرقيق خير دليل على حدوث هذا النوع من العلاقة بين الطرفين⁽¹⁾، وقد اتفقت الإمبراطورية البيزنطية مع سلطنة المماليك على تنظيم الأمور التجارية بين الطرفين، وهذا يتضح من خلال المعاهدة التي وقعت بين الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس والسلطان المملوكي المنصور قلاوون في شهر رمضان من عام (1281/هـ680م)، وقد تضمنت هذه المعاهدة في نصها عدم التعدي على التجار البيزنطيين عندما يأتون إلى الأراضي التي يحكمها المماليك، وهذا ينطبق أيضاً على التجار المماليك عندما يأتون إلى أراضي الإمبراطورية البيزنطية، كذلك شمل هذا الجانب تجار بلاد مغول القفجاق الذين يسافرون إلى سلطنة المماليك ويمرون بالأراضي البيزنطية⁽²⁾.

تم في هذه الاتفاقية أيضاً تقديم عرض من قبل الإمبراطور ميخائيل إلى السلطان المنصور قلاوون بخصوص البضائع المتاجر بها في أراضي الطرفين وفحوى هذا العرض أن تكون هذه البضائع معفية من الالتزامات المفروضة على البضائع⁽³⁾.

ب. تأمين الطرق التجارية المهمة للطرفين:

(1) Laiou Angeliki and Roy Parviz: The Crusades from The Perspective of Byzantium and the Muslim World, Harvard University (Washington, 2001) P190.

(2) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص294.

(3) القلقشندی: المصدر السابق، 75/14.

كان من نتائج العلاقة الودية بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك، أن تم الاتفاق على حماية الطرق التجارية، فقد عمل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوجوس على تأمين مسالك التجارة الخارجية⁽¹⁾، وبخاصة أن القسطنطينية كانت تحظى بأهمية ومكانة اقتصادية مهمة وذلك مرجعه موقعها الاستراتيجي المناسب⁽²⁾، وقد رأى في توطيد الصلات مع سلطنة المماليك أمراً ضرورياً من أجل ذلك⁽³⁾، وقد تم ذكر ذلك في المعاهدة التي عقدت بين الطرفين في عهد السلطان المنصور قلاوون⁽⁴⁾. وفي نفس الوقت اهتم سلاطين المماليك أيضاً بهذا الجانب عندما قاموا بتأمين الممرات والطرق التجارية التي يعبر منها التجار إلى أراضيهم، وذلك كله أدى إلى تشجيع مجيء التجار الأجانب إلى مصر التي كانت تحظى بأهمية تجارية كبيرة على الصعيد الدولي⁽⁵⁾، التي أصبحت هي وبلاد الشام من أهم المراكز التجارية في العصور الوسطى المتأخرة كما كان لموقعها دوراً كبيراً في حصول سلطنة المماليك على أموال كثيرة وذلك باعتبارهما الرابط الفعلي الذي يربط تجارياً الشرق بالغرب⁽⁶⁾.

لقد ارتبطت الإمبراطورية البيزنطية بمصر وبلاد الشام بعدة طرق من أهمها الطريق البحري الذي يربط في آخر مراحلها القاهرة وبلاد الشام بالقسطنطينية⁽⁷⁾.

-
- (1) سهير نعينع: المرجع السابق، ص54.
 - (2) عطية، عزيز سوربال: الحروب الصليبية وتأثيرها علي العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، دار الثقافة (القاهرة، بدون تاريخ) ص151.
 - (3) سهير نعينع: المرجع السابق، ص54.
 - (4) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص294-295.
 - (5) عزيزة اقجام: المرجع السابق، ص83، كذلك طرخان، إبراهيم علي: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (1382 - 1517م)، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1960م) ص 281.
 - (6) سهير نعينع: المرجع السابق، ص81.
 - (7) عزيزة اقجام: المرجع السابق، ص86.

هكذا تتضح طبيعة العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك، والتي من خلالها تبين أنها كانت وليدة الظروف الخارجية المحدقة بالطرفين، مما جعلها تأخذ الطابع الدبلوماسي لا الحربي العسكري الذي تعاملت به الإمبراطورية البيزنطية مع الأتراك العثمانيين، على النحو الذي سأتطرق له بعون الله في الفصل القادم.

الفصل الرابع

العلاقة بين الدولتين البيزنطية والعثمانية

أولاً - نشأة الدولة العثمانية

ثانياً - العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية في المدة ما بين

(699-805هـ/1300-1402م)

ثالثاً - العلاقات البيزنطية العثمانية في المدة ما بين (806-857هـ/1403-

1453م)

رابعاً - نهاية الإمبراطورية البيزنطية

كان لعلاقة الإمبراطورية البيزنطية بالأتراك العثمانيين أثراً كبيراً على مستقبل الطرفين وذلك لكون الصراع الذي نشب بينهما، صراع وجود لا صراع حدود وبخاصة بعد أن أصبح العثمانيون هم حملة لواء الإسلام في آسيا الصغرى، بعد أن انهارت سلطنة سلاجقة الروم (المسلمين) نتيجة للظروف الداخلية والخارجية، التي تم ذكرها فيما سبق، وقبل الخوض في تفاصيل الحديث عن العلاقة بين الدولتين، ينبغي التطرق لتأسيس الدولة العثمانية:

أولاً: نشأة الدولة العثمانية:

اختلفت الروايات في أصل العثمانيين فهناك من يرجع أصلهم إلى بلاد الحجاز، ثم انتقلوا نتيجة لظروف المعيشة إلى قرمان، ويرى آخرون أن أصلهم من المدينة المنورة، وهذا قريب من الرأي الأول⁽¹⁾. ولكن اغلب المؤرخين يرجحون أن أصلهم من قبيلة قاضي التركية⁽²⁾. والرأي الأخير هو الأرجح، وذلك لوجود عدد من القرى في جنوب الأناضول وشماله معروفة باسم قاضي ومواقع عيشهم بالإضافة إلى المسالك التي عبروا منها غرباً أثناء نزوحهم⁽³⁾.

(1) منهم على سبيل المثال: الدمشقي: المصدر السابق، ص 122/8.

(2) ومنهم على سبيل المثال بارباور، نيقولو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية (يوميات الحصار العثماني 1453م ترجمة: حاتم عبدالرحمن الطحاوي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (بدون مكان، 2002م) ص 15 ومحمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 4.

(3) محمد كوبريلي: المرجع السابق، ص 120.

لقد كان للضغط المغولي على قبيلة قابي التركية، أثراً كبيراً في حياة أفرادها، حيث انتقلوا من مقر استقرارهم في وسط آسيا إلى أرمينيا⁽¹⁾، ومنها إلى العيش في الأناضول في عصر زعيمهم سليمان شاه، وبعد وفاته نزح بعض عناصر هذه القبيلة إلى خراسان، وقرر الجزء الآخر الذي كان يقوده أرطغرل بن سليمان شاه الذهاب إلى آسيا الصغرى⁽²⁾. ليقفوا بعد ذلك إلى جانب السلاجقة في حروبهم مع الإمبراطورية البيزنطية، وقد كان لذلك أثراً كبيراً في قيام دولة إسلامية جديدة في المنطقة، وهي بالدولة العثمانية، وقد بدأت نواة هذه الدولة بالتشكل منذ عصر السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباز الأول (616-634هـ/1219-1237م) الذي قام بمكافأة أرطغرل (629 - 680هـ/1231-1281م) بقطعة أراض متاخمة للإمبراطورية البيزنطية⁽³⁾، وبالتحديد في سكود الواقعة في شمال غرب الأناضول، ويبدو أن الهدف من منح السلطان السلجوقي علاء الدين العثمانيين تلك المناطق، هو حماية حدود دولته مع الإمبراطورية البيزنطية، وبخاصة بعد إن رأى مهارتهم في القتال فأعجب بهم⁽⁴⁾.

تولى أرطغرل مهمة حماية المناطق الحدودية للسلاجقة مع الإمبراطورية البيزنطية، حيث تم تلقيبه بـ "أوج يكي" وهذه التسمية كانت تطلق في ذلك الوقت على من يتولى حراسة المناطق الحدودية عند السلاجقة، ولكن لم يكتف أرطغرل بهذا المنصب بل كانت له مطامع في الأراضي البيزنطية الواقعة في الأناضول فغزا مدينة "أسكي شهر" "المدينة القديمة"

(1) أرمينيا: جمهورية تقع جنوبي القوقاز بين أذربيجان، وإيران= أشرف أبو الذهب، المرجع السابق، ص46.

(2) باربارو: المصدر نفسه، ص15.

(3) طه عبيد: المرجع السابق، ص233، وكذلك محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 24 - 25.

(4) محمد طقوش: المرجع السابق، ص25.

الواقعة على الحدود البيزنطية السلجوقية وسيطرَ عليها وواصل سياسته التوسعية حتى توفى عام (1281م/680هـ)⁽¹⁾.

تولى عثمان زمام الحكم في عشيرته عقب وفاة والده أرطغرل، وقد تغيرت العلاقة بين السلاجقة والعثمانيين، فقد تحصل عثمان على العديد من الصلاحيات، مثل سك العملة باسمه، وسمحو له أن يذكر اسمه في المساجد أثناء خطبة صلاة الجمعة، وإن هذه الإمتيازات كانت في السابق مقصورة على الخلفاء، والحكام المستقلين، وهذه الخطوات بدون شك تدل على أن العثمانيين أصبحوا يمتازون بحكم مستقل من الناحية الفعلية مع تبعيتهم اسمياً للسلاجقة كما تدل على ضعف الدولة السلجوقية⁽²⁾.

أدى انفصال عثمان عن السلاجقة إلى تسمية الدولة باسمه، ولذلك يمكن اعتباره مؤسس هذه الدولة الإسلامية الصاعدة، وقد انتهج العثمانيون نهج المسلمين الأوائل في تسمية دولهم، أي أن اسم العائلة هو الذي يطلق على الدولة، على سبيل المثال كما فعل الأمويون والعباسيون⁽³⁾.

بقيام السلطان عثمان في عام (1299م/699هـ) بتغيير مركز حكم العثمانيين إلى مدينة قونية⁽⁴⁾ يمكن اعتبار ذلك التاريخ هو البداية الفعلية للدولة العثمانية⁽⁵⁾.

(1) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص26، كذلك أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص36، وأيضاً طه عبيد: المرجع السابق، ص233.

(2) محمد المحامي: المرجع السابق، ص40.

(3) أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص32.

(4) جاويش: المصدر السابق، ص21.

(5) جودة، محمد غريب: موجز تاريخ العالم بالأحداث والسنوات - موسوعة للمعلومات الأساسية، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع (القاهرة، بدون تاريخ) ص108.

شهدت الدولة العثمانية في عصر السلطان عثمان عدد من الانجازات, من بينها كثرة عدد الأراضي المفتوحة لدرجة انه لا يمكن حصر الفتوحات, في نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي, وذلك يرجع إلى عدم توفر روايات يمكن الاستناد عليها في هذا الجانب, حيث أنهم لم يقوموا بتدوين الأحداث التي مرت بها دولتهم حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي, بالإضافة إلى أن البيزنطيين لم يفصلوا بين العثمانيين وغيرهم من الأتراك, مما أدى إلى عدم فصل الأحداث التي وقعت بينهم في كتبهم, وذلك أوجد صعوبة في فرز الأحداث التي ربطت بين الطرفين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي, ولكن من المسلم به تاريخياً هو أن الأراضي التي كانت بحوزة السلطان عثمان عند حوالي عام (1300م/700هـ) كانت ضمن المناطق الواقعة بين بروسة ونيقيا⁽¹⁾.

كان للوضع السيئ الذي كانت تعاني منه دولة السلاجقة في ذلك الوقت أي في عام (1300م/700هـ) كان له دوراً كبيراً في استحواذ عثمان على العديد من الأراضي, حيث أن دولة السلاجقة تعرضت للغزو التتاري الذي اجتاحت مناطقهم, والذي كان من أهم نتائجه, وفاة علاء الدين وابنه غياث, وبعد هذه الحادثة سطع نجم عثمان الذي انتقل إلى مدينة "سكود" يكي شهر "المدينة الجديدة", وأصبح يعرف بـ (باديشاه آل عثمان)⁽²⁾.

(1) أنيس، محمد: الدولة العثمانية والشرق العربي، (1514 - 1914م) مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1990م) ص 17.

(2) محمد المحامي: المرجع السابق، ص 40-41.

ثانياً: العلاقات البيزنطية العثمانية في المدة من (699-805هـ/1300-1402م):

عمل عثمان على ضم بعض الأراضي الشمالية المجاورة لأراضي الإمبراطورية البيزنطية وبلاد البلقان وفي إطار سياسة التوسع هذه يذكر المؤرخ اينالجيك إن المؤرخ البيزنطي ياخيميرس ذكر إن عثمان قام بمحاصرة مدينة نيقيا، فتحرك الجيش البيزنطي بقيادة أحد القادة ويُدعى موزالون لمواجهته⁽¹⁾، وقد كان ذلك في عام (701هـ/1301م) وفي حقيقة الأمر أن هذه المواجهة تعتبر أول معركة وقعت بين العثمانيين والبيزنطيين، وقد استطاع الجيش العثماني الانتصار على نظيره البيزنطي في تلك المعركة، ومنذ ذلك الحين زاد نفوذ عثمان في تلك الأرجاء من آسيا الصغرى⁽²⁾.

إن هذا الانتصار لم يكن ذا تأثير واضح على الإمبراطورية البيزنطية وذلك مرجعه نجدة السلاف⁽³⁾، للبيزنطيين، حيث أنهم حرموا العثمانيين من تحقيق انتصار كبير على البيزنطيين؛ ولكن يمكن القول بأن المعركة كانت خير وسيلة للطرفين يمكن من خلالها أن يقيس كل منهما قوة الآخر⁽⁴⁾، ولكن في نفس الوقت أعطى هذا الانتصار لعثمان هيبية ومكانة رفيعة، وقد أكدت على ذلك المصادر العثمانية بل حتى المصادر البيزنطية، حيث ذكرتا: أن جموعاً كثيرة من بلاد الأناضول دخلوا في طاعته⁽⁵⁾، ولقد قام العثمانيون في عام (708هـ/1308م) بالزحف على الأراضي البيزنطية وقد تمكنوا من تحقيق نجاح كبير في هذا

(1) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص15.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص233.

(3) السلاف: موطنهم شرق أوروبا: محمد منصور: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف، ص66. بالأندلس يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف، منشورات جامعة قارونيس (بنغازي، 1995م) ص99.

(4) محمد انيس: المرجع السابق، ص18.

(5) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص15.

المدة⁽¹⁾، وهناك عدة عوامل ساعدت على تحقيقه، والعوامل ساعدت العثمانيين على تحقيق النصر في هذه المعركة وهي:

1. الصبر والجدية اللذان امتاز بهما العثمانيون أثناء حصارهم للمدن البيزنطية، والانضباط عند قيامهم بأي عمل عسكري وهذا ما كان يتطلبه واقع حياتهم.
2. لم يكونوا يستغرقون زمناً طويلاً في مهاجمتهم للمواقع البيزنطية، حيث أنهم كانوا يتميزون بسرعة التجهيز، الأمر الذي سهل عليهم مباغثة أعدائهم على اعتبار أن قلة التجهيزات والمعدات لا تتطلب وقتاً طويلاً أثناء تحرك الجيش.
3. استطاع العثمانيون استقطاب العديد من العناصر الأجنبية إلى جيشهم، وذلك بإدماج الأسرى في صفوفهم وإدخالهم في الدين الإسلامي، بحيث تمكنوا بواسطة هذه السياسة من زيادة عدد قوتهم.
4. أما العامل الرابع الذي كان له دوراً كبيراً في تحقيق النصر هو حمل العثمانيين للواء الدين الإسلامي، وهذا بدوره أدى إلى انضمام العديد من العناصر الإسلامية القاطنة بالنواحي الشمالية الغربية من آسيا الصغرى إلى صفوفهم باعتبارهم قادة الجهاد في تلك الأصقاع.
5. أما العامل الخامس والذي كان له أيضاً دوراً مهماً في النصر العثماني، وجود أرضية خصبة لتأسيس الإمارة العثمانية في آسيا الصغرى، وبالتحديد بالقرب من شواطئ بحر إيجه؛ وذلك مرجعة استقرار العناصر التركية في تلك المنطقة، والتي عملت على مهاجمة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى، في معنيسيا وفيلادلفيا، وفشل الإمبراطورية البيزنطية في حماية هذه المناطق، وهذا بدوره سهل على الغزاة

العثمانيين الانتشار في تلك الأنحاء، لأن السيادة البيزنطية في تلك الأرجاء قد تلاشت،
ومما زاد الوضع تردياً عند البيزنطيين هو عدم تمكنهم من الحصول على المساعدة من
الخارج وبخاصة بعد أن اعتنق المغول الدين الإسلامي في مطلع القرن الثامن الهجري/
الرابع عشر الميلادي، كذلك عدم إمكانية الحصول على المساعدة من الغرب، وبخاصة
بعد المشاكل التي قام بها المرتزقة في عام (702هـ/1302م) في أراضي
الإمبراطورية⁽¹⁾، وذلك عندما جلبهم الإمبراطور اندرونيقوس الثاني بهدف إيقاف المد
السلجوقي الذي اجتاحت أراضي الإمبراطورية⁽²⁾. وهذا الموقف على ما يبدو جعل
الاستعانة بالغرب ليس من الخيارات الجيدة عند البيزنطيين.

قام العثمانيون بمواصلة الهجوم على الممتلكات البيزنطية، حتى استطاعوا التحكم بالمر
المائي الذي يصل العاصمة البيزنطية بمدينة بروسة، بل استطاعوا الوصول إلى ضفاف
اليسفور⁽³⁾، وقد قام السلطان عثمان بالتحرك من مقر حكمه في "يكي شهر"، وذلك من أجل
السيطرة على نيقيا ونيقوميديا. ولكنه اختار أن يعود أدراجه صوب يكي شهر، وذلك عندما لم
يفتح في السيطرة على هاتين المدينتين، وذلك لأنه كان عليه أن يضع حلاً للعديد من المشاكل
والأزمات التي كانت تعاني منها البلاد، وما لبث أن استطاع أن يعالج جميع الصعاب، ثم قام
باستئناف تجهيز الحملات وذلك عندما قام راسل الحكام البيزنطيين طالباً منهم الانضمام
إلية واعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو محاربتهم، فقرر جزء منهم اعتناق الدين الإسلامي

(1) محمد أنيس: المرجع السابق، ص19، كذلك عامر، محمود علي: الإمبراطورية العثمانية، مجلة تاريخ

العرب والعالم، الأعداد 66 - 69، السنة السادسة (بيروت، 1984م) ص 54 - 55.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص224.

(3) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص30.

بينما قرر الجزء الآخر دفع الجزية، وأما الجزء الأخير فقرر القتال⁽¹⁾، وهذه الفئة التي قررت مواجهة العثمانيين عملت على كسب قوة التتار إلى صالحهم، فعلاً قام أولئك بالموافقة على الدخول في هذا الصراع إلى جانب البيزنطيين ضد العثمانيين، ولذلك قام السلطان عثمان بتجهيز قوة كبيرة من أجل مواجهتهم وجعل على رأس هذه القوة ابنه أورخان⁽²⁾، الذي استطاع أن يلحق الهزيمة بخصومة في هذه المعركة، وبعد هذا النصر قام أورخان بالتوجه صوب مدينة بروسة، وذلك من أجل السيطرة عليها، حيث قام بضرب الحصار على المدينة في عام (1317هـ/1317م)⁽³⁾، وتمكّن أورخان من إخضاعها في عام (726هـ/1326م)⁽⁴⁾، وقد ساعده على فتح المدينة حالة الذعر والخوف التي كانت تدب بين سكانها من جراء الحصار الذي قام به على المدينة بواسطة القلعتين التي شيدهما بجوارها⁽⁵⁾، وهذا ما جعل أورخان يسيطر على المدينة سلماً دون قتال، وذلك عندما تصالح مع أهلها على مبلغ من المال يقدم له بشكل سنوي⁽⁶⁾، وفي تلك الأثناء كان السلطان عثمان في ظروف صحية يرثى لها، وبعدها توجه أورخان إلى مدينة بروسة وذلك من أجل أن يخبره بهذا النصر، وبعد أن سمع عثمان الخبر لم يلبث أن انتقل إلى رحمة الله، وتم دفنه في مدينة بروسة⁽⁷⁾، حيث أوصى بذلك⁽⁸⁾، وبالتحديد في مسجد المدينة الذي كان موقعة في نفس موضع الكنيسة التابعة للقصر حيث تمّ

(1) محمد المحامي: المرجع السابق، ص 41.

(2) اورخان: هو السلطان المجاهد أورخان بن السلطان عثمان تولى الحكم في عام (727هـ/1326م) وعمره ثمان وأربعون عاماً" القرمانى: المصدر السابق، 10/3.

(3) محمد المحامي: المرجع السابق، ص 41.

(4) أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص 37.

(5) علي سلطان: المرجع السابق، ص 19.

(6) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 30 - 31.

(7) علي سلطان: المرجع السابق، ص 19.

(8) ياغي، إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكات (بدون مكان، 1998م) ص 14.

تحويلها على يد أورخان إلى مسجد فور فتح المدينة التي أصبحت عاصمة العثمانيين الجديدة⁽¹⁾.

ارتقى أورخان عرش الدولة العثمانية عقب وفاة أبيه⁽²⁾، وبمجرد أن قام بالسيطرة على بروسة، أصبح يسعى إلى السيطرة على مناطق بيزنطية أخرى، وفي مقدمتها نيقيا ونيقوميديا الواقعة في آسيا الصغرى⁽³⁾، وقد شهد عام (1329/هـ729م) حدوث اصطدام جديد بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية التي كان يسعى سلطانها أورخان إلى توسيع مناطق حكمها، وبخاصة في النواحي الغربية، إذ التقى الطرفان في موقعة "بليكانون"، التي انتصر فيها العثمانيون على البيزنطيين والتي كان الإمبراطور البيزنطي اندرونيقوس الثالث يسعى من خلالها إلى وضع حد للاعتداءات العثمانية على ممتلكات إمبراطوريته⁽⁴⁾.

لقد كان للصراع على العرش الذي شهده عهد اندرونيقوس الثاني - الذي انشغل بالصراع مع حفيده - أثراً كبيراً في إهدار العديد من الأموال، والتي كان بالإمكان استثمارها في مواجهة الخطر العثماني الداهم⁽⁵⁾، وقد ترتب علي هذه المعركة - التي فرّ منها الإمبراطور البيزنطي بعد إصابته إلى عاصمته - قتل عدد كبير من الجيش البيزنطي، كذلك تعتبر هذه المعركة خير دليل علي قرب نهاية السيادة البيزنطية في آسيا الصغرى⁽⁶⁾.

(1) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين ومنيير البعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت، 1997م) ص409.

(2) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص17.

(3) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص38.

(4) علي سلطان: المرجع السابق، ص20.

(5) محمد أنيس: المرجع السابق، ص22.

(6) محمد طقوش: المرجع السابق، ص38-39.

بعد مرور عامين من موقعة "بليكانون" تمكن العثمانيون من فتح مدينة نيقيا⁽¹⁾، ولقد واصل السلطان أورخان سياسته التوسعية، حيث قام بتجهيز قوة وجعل على رأسها ابنه سليمان، وذلك بغية فتح عدد من المواقع، وقد نجح في ذلك حيث تمكن من فتح قلاع: كوينيك، ومودرينة، وتركجي، وبعد أن قام سليمان بالسيطرة على هذه القلاع أصبحت المناطق التابعة للإمبراطورية البيزنطية مشتتة أو متناثرة، وهذا مما لا يدع مجالاً للشك زاد الوضع تأزماً بالنسبة للبيزنطيين⁽²⁾.

في عام (1333/هـ733م) تم توقيع معاهدة سلام بين البيزنطيين والعثمانيين ترتب عليها أن ترسل الإمبراطورية البيزنطية مبلغاً من المال للدولة العثمانية، مقابل توقف الغارات العثمانية على أراضيها في آسيا الصغرى⁽³⁾.

سعى أورخان إلى افتتاح مدينة نيقوميديا، وقد كان له ما أراد في عام (1337/هـ737م)⁽⁴⁾، ولكن رغم هذه الانتصارات التي حققها علي حساب البيزنطيين إلا أنه تعرض لهزيمة خلال العام ذاته عندما هاجم القسطنطينية وتراقيا، لأن أسطوله الصغير لم يسعه في مدافعة الأسطول البيزنطي⁽⁵⁾.

لقد تغيرت طبيعة العلاقات التي جمعت العثمانيين والبيزنطيين عقب وفاة الإمبراطور أندرونيقوس الثالث الذي فارق الحياة في عام (1341/هـ742م) ومرجع ذلك أن البيزنطيين لجأوا إلى طلب عون العثمانيين بدل الغرب من أجل فضّ نزاعاتهم الداخلية كما فعلوا إبان مدة حكم اندرونيقوس الثالث، وليس أدل على ذلك من النزاع الذي وقع بين يوحنا كنتاكيوزينوس

(1) علي سلطان: المرجع السابق، ص 20.

(2) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 39.

(3) المرجع نفسه، ص 39-40.

(4) علي سلطان: المرجع السابق، ص 20.

(5) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 41.

- الذي كان وزيراً أثناء حكم يوحنا الخامس (742-748هـ/1341-1347م) خلال مدة حكمه الأولى- وأن والده الإمبراطورية التي كانت تتولى الوصاية عليه حيث أنها لم توفق في كسب ود أورخان إلى جانبها وذلك بعدم فضل الأخير الوقوف إلى جانب الوزير، بل أنه أصبح صهراً لأورخان، بعدما تزوج الأخير بحفيدة لكنتاكيوزينوس، وهذا كان له دوراً هاماً في قلب الموازين لصالح الوزير، الذي أقتسم فيما بعد الحكم مناصفة مع يوحنا وقد حدث ذلك عام (1347/هـ748م)، وفي تلك الإثناء عرف المشهد السياسي زواجاً كان الفرص منه إحداهن نوعاً من التقارب السياسي وذلك حينما تزوج يوحنا من هيلين ابنة كنتاكيوزينوس⁽¹⁾، وأنه على الرغم من مصاهرة يوحنا كنتاكيوزينوس لأورخان إلا أنه قد أوجس خيفة من تواجد العثمانيين في الأراضي الأوروبية لذلك حاول أكثر من مرة الحصول على مساعدة من البابا كلمنت السادس (743-753هـ/1342-1352م) في شكل حرب صليبية ضد الدولة العثمانية⁽²⁾.

واجهت الإمبراطورية البيزنطية العديد من المشاكل، والتي ساعدت على تأزم الأوضاع فيها، وبخاصة بعد أن ألقت هذه المشاكل بظلالها على الصراع الواقع بينها وبين العثمانيين، وقد كانت هذه الظروف في واقع الأمر تخدم الجانب العثماني إلى حد كبير، حيث أن وهذه العقبات أدت إلى فقدان البيزنطيين الأمل في الحصول على أي مدد من الغرب الأوربي، وذلك نتيجة للظروف الصحية السيئة التي يمر بها الغرب الأوربي بسبب الخسائر البشرية المترتبة على تفشي أحد الأوبئة هناك، أما المشكل الثاني الذي صبَّ في مصلحة

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص 118 - 119، كذلك أسامة زيد والأمين أبو سعده: المرجع السابق، ص470، أيضاً

Hussey, J.m: The Orthodox Church in the Byzantine empire, Clarendon press (oxford,1984) p2.

(2) محمد أنيس: المرجع السابق، ص26، كذلك محمود عمران: معالم تاريخ أوربا، ص311.

العثمانيين وسلطانهم أورخان هو اشتداد التنافس بين أهم المدن الإيطالية البندقية وجنوه، وهذا بدوره أدى إلى صرف أنظار هذه القوى عن الزحف العثماني، أما المشكل الأخير فيتمثل في الصراع الذي نشب بين يوحنا باليولوجوس ويوحنا كنتاكيوزينوس، وهذا قد تمّ التطرق إليه فيما سبق، و لقد ساعدت هذه الظروف القاسية التي تمر بها الإمبراطورية البيزنطية وباقي المناطق الأوروبية الدولة العثمانية علي المحافظة على الأراضي التي سيطرت عليها، ومواصلة سياستها التوسعية⁽¹⁾.

اضطر يوحنا كنتاكيوزينوس إلي الاستجداء بالقوات العثمانية مرة أخرى، وذلك على خلفية تجدد الصراع بينة وبين يوحنا باليولوجوس عام (1352/هـ753م)⁽²⁾. وقد وافق أورخان علي تقديم المساعدة ليوحنا كنتاكيوزينوس حيث أرسل ابنه سليمان علي رأس جيش كبير من أجل مساندة يوحنا كنتاكيوزينوس في محنته، وعند وصول الجيش العثماني قام الإمبراطور يوحنا كنتاكيوزينوس بإعطاء سليمان وجنده قلعة جنك - ترمب - الواقعة ضمن نطاق الأراضي الأوروبية المتاخمة لمضيق مدينة غاليبولي⁽³⁾.

لقد استطاع يوحنا السادس من القضاء على الأخطار المحدقة به، وانفرد بشئون الحكم خلال السنوات (748 - 755/هـ1347-1355م)⁽⁴⁾، وقد تمكن سليمان وجنده من الاستيلاء على غاليبولي، وقد كان ذلك في شهر مارس عام (1354/هـ755م)⁽⁵⁾، حيث تعتبر هي أول

(1) محمد أنيس: المرجع السابق، ص26-27.

(2) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص42.

(3) المرجع نفسه، ص42، كذلك خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص20

(4) علي سلطان: المرجع السابق، ص21-22، كذلك أسامة زيد والأمين أبو سعده: المرجع السابق، ص470.

(5) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص20.

أرض تخضع لسلطة العثمانيين في القارة الأوروبية⁽¹⁾، وقد عمل العثمانيون على التوسع في تلك الأنحاء فضموا ملاقرة بولار⁽²⁾. أيضاً⁽³⁾، بالإضافة إلى قلعة رودستو⁽⁴⁾.

ترتب على سيطرة العثمانيين على غاليبولي إحداث قلق كبير في غرب أوروبا بالإضافة إلى حالة الفزع الكبير الذي شهدته الأوساط البيزنطية آنذاك⁽⁵⁾، وبذلك أصبحت الفرصة مواتية لغزو البلقان⁽⁶⁾، وهذا ما دفع أوروبا إلى أن تسعى إلى قيام حملة كبيرة من أجل التصدي للزحف العثماني وهذه الحملة التي كان الأوربيون يدعون لها لم يكن الهدف منها استعادة الأماكن المقدسة في بلاد الشام بل الهدف منها المحافظة على الإمبراطورية البيزنطية على الرغم من الاختلاف والقطيعة التي كانت بين الكنيستين الشرقية والغربية منذ عام (1054/هـ446م)، والذي بذلت من أجله الجهود مرة أخرى من أجل إنهاء ذلك الخلاف، وبخاصة بعد أن قام جريجوري بالاماس مطران سالونيك - الذي وقع بقبضة العثمانيين عندما قاموا بالاستيلاء على المدينة - بإعطاء صورة عن حقيقة الصراع الذي يدور بين الإمبراطورية البيزنطية والعثمانيين، حيث بين لهم أن هذا الصراع ديني صرف مؤكداً على أن هذا ما أكده العثمانيون بأنفسهم⁽⁷⁾، وقد واجه الإمبراطور يوحنا كنتاكيوزينوس ردة فعل عنيفة من قبل شعبه بعد فقدان غاليبولي. بالإضافة إلى قيامه ببيع بعض أملاك الكنيسة، وقد

(1) لويس، برنارد: اسطنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: سيد رضوان علي، منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، بدون تاريخ) ص28-29.

(2) علي سلطان: المرجع السابق، ص22.

(3) ملاقرة بولار: هي من ضمن الأراضي التابعة للدولة العثمانية الواقعة في جزء الأوربي = برنارد لويس: المرجع السابق، ص 28 - 29.

(4) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص42.

(5) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص20.

(6) طه عبيد: المرجع السابق، ص235.

(7) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص20، كذلك حسنين ربيع: المرجع السابق، ص292.

انتهت هذه الأزمة بتتحيته عن العرش، الذي عاد إلى أسرة باليولوجوس، حيث ارتقى العرش
يوحنا الخامس من جديد في عام (754-778هـ/1355-1376م)⁽¹⁾.

تمكّن أورخان من نقل مجموعة كبيرة من الرعاة التركمان إلى المناطق التي استحوذ
عليها من الإمبراطورية البيزنطية في تراقيا، بغية إحداث تغيير في ديموغرافيتها السكانية،
وإكثار العنصر التركي فيها، والذي يسعى من خلاله إلى الحفاظ على التواجد العثماني في
المنطقة⁽²⁾.

أتمت العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية بعد انفراد يوحنا الخامس
باليولوجوس بالحكم بتفوق الجانب العثماني، حيث أن الإمبراطور البيزنطي كان خاضعاً
للسلطان العثماني أورخان، وهذا يتضح من قيام الإمبراطور بتزويج ابنته الصغيرة السن
لخليل بن السلطان أورخان استجابة لرغبته الأخير، كما أنه تنازل عن حق الإمبراطورية في
جميع المناطق التي استولى عليها العثمانيون في تراقيا، وذلك بموجب اتفاقية عقدت بين
الطرفين في نهاية عهد أورخان الذي تزوج من إحدى بنات يوحنا الخامس والتي كانت تبلغ
من العمر عشرة سنوات فقط⁽³⁾.

بعد وفاة السلطان أورخان تولى الحكم في الدول العثمانية ابنه مراد الأول⁽⁴⁾، الذي عمل
بعد توليه الحكم على مواصلة الفتوحات في البلقان، بعد أن أمنّ الأراضي العثمانية في آسيا
الصغرى، وعندما وضع مراد حداً لكل الكيانات المناوئة لدولته في آسيا الصغرى في وقت

(1) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص22، كذلك أسامة زيد والأمين أبو سعده: المرجع السابق، ص470.

(2) احمد مصطفى: المرجع السابق، ص47.

(3) محمد أنيس: المرجع السابق، ص29.

(4) مراد الأول: استقر على سرير الملك بمدينة بروسة وكان عمره إذاك أربعة وثلاثين عاماً وتولى الحكم
عام (761هـ/1359م) وتولى الحكم لمدة إحدى وثلاثين عاماً= القرمانلي: المصدر السابق، 13/3، 15.

محدود جداً، أصبح بالإمكان أن يوجه أنظاره صوب البلقان⁽¹⁾، وتمكن من السيطرة على عدد كبير من المناطق هناك ومن أهمها مدينة أدرنة، التي تم استخلاصها من البيزنطيين في عام (1361/هـ763م أو 1362/هـ764م)، وقد كان لعدم حصول الإمبراطورية على الدعم من البلقان والغرب اللاتيني دوراً كبيراً في انتصار العثمانيين، وعندما اقتنع الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس باليولوجوس بعدم قدرة جيشه على مجابهة الجيش العثماني⁽²⁾، بادر إلى عقد معاهدة معهم في عام (1363/هـ765م)، والتي نتج عنها تنازل الإمبراطور عن أحقية الإمبراطورية في الأراضي التي سيطر عليها العثمانيون في تراقيا، بالإضافة إلى تقديم يد العون للعثمانيين عند خوضهم لأي صراع في الأناضول⁽³⁾، أيضاً تعهد الإمبراطور البيزنطي بدفع الجزية للسلطان العثماني، وهذا إن دل على شيء؛ إنما يدل على مدى الضعف والاضمحلال الذي تمر به الإمبراطورية البيزنطية التي سعت إلى الحصول على دعم ومساعدة الصرب من أجل مهاجمة الأراضي التي فتحها العثمانيون، وبخاصة أن الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس استطاع استرجاع أدرنة من الدولة العثمانية، ولكن ما لبثت أن دخلت المدينة من جديد تحت سيطرة العثمانيين في عام (1366/هـ767م)، ومنذ هذا التاريخ أصبحت هذه المدينة عاصمة للعثمانيين⁽⁴⁾.

هناك سببان دفعا مراد الأول يتخذ من هذه المدينة الأوربية عاصمة لدولته، وهذه الأسباب تتمثل في الموقع الاستراتيجي الذي تمتاز به المدينة التي تشرف على ملتقى ثلاثة

(1) بروكلمان: المرجع السابق، ص416.

(2) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص47.

(3) محمد أنيس: المرجع السابق، ص32.

(4) محمد طقوش: المرجع السابق، ص47.

أنهار⁽¹⁾، بالإضافة إلى أن العثمانيين كانوا بحاجة إلى عاصمة تكون على مقربة من عمليات الفتح في القارة الأوروبية لذلك وقع الاختيار على أدرنة بدلاً من بروسة البعيدة عن قلب الحدث في ذلك الوقت⁽²⁾، ولم تكن أدرنة هي الوحيدة التي تمكن العثمانيون من الاستيلاء عليها في تلك الفترة، بل استطاعوا أيضاً ضم فيلبيّة أو كما يطلق عليها "فيليبوبوليس" إلى أملاكهم عندما تمكن القائد (افرينوس بك) من فتحها، أيضاً استطاع العثمانيون السيطرة على كل من "وردار" و"كلجمينا" الواقعة إلى الجنوب الغربي من أدرنة⁽³⁾، وقد واصل العثمانيون توسعهم على حساب الإمبراطورية البيزنطية التي فقدت إقليم تراقيا بالكامل، وهذا التوسع السريع الذي قام به العثمانيون في المنطقة؛ أدى إلى عزل العاصمة البيزنطية عن المناطق التابعة لها والتي تقع في الأراضي الأوربية⁽⁴⁾.

أحسَّ الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس بمدى الخطر الذي تواجهه الإمبراطورية، وبخاصة بعد أن تمكن العثمانيون من فتح أدرنة، لذلك رأى أن الحل الوحيد للحد من هذا الزحف العثماني هو الحصول على دعم من الغرب الأوروبي، أي أن يتم ذلك عن طريق حمله صليبية، ومن أجل ذلك طلب الدعم للخروج من المأزق الذي هو فيه، ويتضح حرص الإمبراطور على الحصول على هذا العون، وحاجته إليه في إقدامه على خطوة مهمة وهي اعترافه بتبعية الكنيسة الشرقية للكنيسة الغربية، مع تأكيده على تقيده بكل ما يحمله المذهب الكاثوليكي من مبادئ، وقد تمَّ ذلك أثناء التقائه بالبابا أوربان الخامس (763-772هـ/1362-1370م) في روما عام (771هـ/1369م)، ولقد استطاع الإمبراطور البيزنطي الحصول على

(1) محمد المحامي: المرجع السابق، ص45، كذلك أبو الذهب، أشرف طه: المرجع السابق، ص 40.

(2) محمد طقوش: المرجع السابق، ص47.

(3) محمد المحامي: المرجع السابق، ص48، كذلك محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص48.

(4) محمد طقوش: المرجع نفسه، ص48.

موافقة البابا في الحصول على دعم من الغرب الأوروبي نظير التنازلات التي قدمها له، ولكن هذه الزيارة لم تؤت ثمارها، وذلك مرجعة ضعف السلطة الروحية أمام السلطة الزمنية في أوروبا إبان تلك الفترة، حيث أن أصحاب السيادة في الغرب الأوروبي، لم يعودوا يأبهون لدعوات البابوية الرامية إلى قيام الحملات الصليبية، هذا على الصعيد الخارجي أما على الصعيد الداخلي فقد واجه الإمبراطور يوحنا ردة فعل عنيفة ناتجة عن إقدامه على تقديم التنازلات للبابا على حساب الكنيسة الشرقية، وقد وجد يوحنا نفسه مجبراً على الخضوع للسيادة العثمانية، ومما زاد الوضع تأزماً، وهو حدوث صراع بين يوحنا وابنه اندرونيقوس⁽¹⁾، الذي استطاع أن يغتصب العرش من والده عام (1376/هـ788م)، ولكن ما لبث الوالد أن استعاد عرشه بمساعدة مراد الأول حيث تم عقد معاهدة بين الطرفين كي يساعده في هذه المحنة⁽²⁾، وقد كان من نتائج هذه الاتفاقية أن وافق الإمبراطور يوحنا على أن يدفع جزية سنوية للدولة العثمانية نظير مساعدتهم له في خلافه مع ابنه حول الحكم⁽³⁾.

لم تتحسن أحوال الإمبراطورية البيزنطية عندما ارتقى العرش مانويل الثاني (794 - 829/هـ1391 - 1425م) عقب وفاة والده الإمبراطور يوحنا الخامس، فقد واصلت الإمبراطورية تبعيتها للدولة العثمانية، وليس أدل على ذلك من الدعم الذي قدمه الإمبراطور البيزنطي للسلطان بايزيد الأول⁽⁴⁾، أثناء قيامه بالاستحواذ على آخر معقل بيزنطي في منطقة آسيا الصغرى ألا وهو فيلادلفيا⁽⁵⁾، وأن هذه المساعدة التي قدمها الإمبراطور البيزنطي مانويل

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص120-121، وكذلك محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص48.

(2) محمد طقوش: المرجع نفسه، ص50-51.

(3) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص121.

(4) بايزيد الأول: هو السلطان السعيد ايلدرم بايزيد، كان مجاهداً مرابطاً، وقد فتح العديد من المناطق، وكان شديد البطش عالي الهمة، كانت مدة ملكه 14 عام وثلاثة أشهر = القرماني: المصدر السابق، 19/3 - 22.

(5) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص122.

الثاني كانت وفقاً للاتفاق الذي قام بعقده والده مع السلطان مراد مع أثناء خلافه مع ابنه اندرونيقوس الرابع⁽¹⁾، ولقد تواصلت فتوحات العثمانيين الذين تمكنوا من فتح كل من تساليا وبيروس، وقد كان ذلك بالتحديد في عام (1397/هـ800م)، وفي تلك الأثناء شعر الإمبراطور مانويل الثاني بخطورة الموقف، وسعى إلى الحصول على المساعدة من الحليف التقليدي في حروبهم ضد المسلمين وهو الغرب الأوروبي لذلك ذهب بنفسه إلى حكام الغرب الأوروبي والبابوية من أجل ذلك، وقد استغل السلطان بايزيد الأول وجود الإمبراطور البيزنطي خارج العاصمة ليقوم بمحاصرتها، ولم يتم فلك الحصار عنها إلا بعد أن قام السلطان بايزيد بسحب جيشه لمواجهة الخطر المحدق بالمنطقة والذي يتمثل في المغول وزعيمهم تيمورلنك⁽²⁾، وقد التقى الجيش العثماني بالجيش المغولي في أنقرة، وقد كان ذلك في عام (1402/هـ805م) وقد تمكن المغول من إنزال الهزيمة بالجيش العثماني الذي قام عدد كبير من قادته بالانسحاب من أرض المعركة تاركين قائدهم وسلطانهم يواجه مصيره بنفسه، حيث تم القبض عليه وأسرته، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في العام التالي⁽³⁾.

كان لموقعة أنقرة تأثير واضح على العلاقات البيزنطية العثمانية، كما أنه صبَّ في مصلحة البيزنطيين الذين حصلوا على فرصة التقاط الأنفاس استمرت لمدة عشرين عاماً، لم تتعرض فيها الإمبراطورية لأي هجوم من الدولة العثمانية⁽⁴⁾.

ثالثاً: العلاقات البيزنطية العثمانية في المدة من (806-857/هـ1403-1453م):

(1) محمد طقوش: المرجع السابق، ص50.

(2) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص122.

(3) محمود السيد: المرجع السابق، ص23-24.

(4) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص235.

عرفت العلاقات البيزنطية العثمانية عقب نكبة أنقرة⁽¹⁾ عام (805هـ/1402م) مدة من الهدنة، وذلك لم يتم عن طريق معاهدة بل فرضتها الظروف التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية جراء الغزو المغولي⁽²⁾، وقد شككت هذه النكبة في حقيقة الأمر منعطفاً خطيراً فيما يتعلق بمصير الدولة العثمانية، حيث أن تيمورلنك قام بإعادة الأراضي التي استولى عليها السلطان بايزيد الأول إلى أصحابها، وهذا بطبيعة الأمر ساعد على زيادة تأزم الوضع في الدولة العثمانية، كذلك من ضمن المشاكل التي واجهت العثمانيين في تلك المدة الصراع الذي نشب بين أبناء السلطان العثماني بايزيد⁽³⁾، حيث قاموا بتقسيم أملاك الدول العثمانية فمحمد قام، بتثبيت دعائم حكمه في منطقة الأناضول وعمل على التوسع في البلقان والزحف على مدينة أدرنه، التي كانت تحت سيطرة أخيه الأكبر سليمان، بالإضافة إلى أن حكاماً بيزنطيين قد استطاعوا استرجاع المناطق التي كانوا يحكمونها، وأعلنوا استقلالهم بتلك المناطق⁽⁴⁾، وأما الإمبراطور مانويل الثاني، فقد تمكن من إعادة بعض من المناطق البيزنطية في الجانب الأوروبي، والتي فتحها العثمانيون في وقت سابق⁽⁵⁾، وأن الإمبراطورية البيزنطية، بموجب اتفاقية عقدتها مع سليمان تمكنت من استرجاع سالونيك⁽⁶⁾، وقد كانت ستسترجع المزيد من الأراضي، لو تحصلت على دعم من الأطراف الأوروبية⁽⁷⁾.

(1) نكبة أنقرة: أطلقت عليها هذه الصفة، وذلك لم ترتب عليها من نتائج خطيرة غيرت الحدود السياسية في المنطقة، ونتج عنها أيضاً قيام حرب أهلية بين أبناء بايزيد عطلت مشروع العثمانيين في السيطرة على القسطنطينية إلى حين = محمود عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 363.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص 236.

(3) احمد مصطفى: المرجع السابق، ص 59.

(4) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص 31.

(5) احمد مصطفى: المرجع السابق، ص 59.

(6) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص 31.

(7) احمد مصطفى: المرجع السابق، ص 59.

بعد أن استمر النزاع بين أبناء السلطان بايزيد الأول حتى عام (816هـ/1413م) استطاع محمد الأول الخروج من هذا الصراع الأسري منتصراً ليتولى حكم العثمانيين⁽¹⁾. وقد كان للبيزنطيين دوراً كبيراً في انتصار محمد الأول وذلك عندما قاموا بمساعدته أثناء صراعه مع أخيه موسى، الذي تمكن فيما بعد من الاستحواذ على بعض المناطق في البلقان⁽²⁾.

عادت العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة العثمانيين عندما أنفرد محمد الأول بالحكم، وقد اتسمت هذه العلاقة في البداية بالطابع السلمي، ومن خلال إمعان النظر في واقع الأحداث في تلك المدة يتضح مدى دور الظروف المحيطة بالعثمانيين في إجبارهم على انتهاج هذا النوع من العلاقة، حيث قام السلطان محمد الأول والإمبراطور مانويل الثاني بتجديد المعاهدة المعقودة بين الدولتين، ومن أجل أن يقوم السلطان محمد بالتأكيد على حسن نواياه تجاه الإمبراطورية البيزنطية، قام بتسليم الإمبراطور مانويل الثاني بعض المناطق والقلاع التي كان قد استحوذ عليها العثمانيون في وقت سابق⁽³⁾، كذلك قام السلطان محمد بتحسين علاقة دولته مع الأمير البيزنطي ثيودور في المورة بالإضافة إلى بعض الأطراف الخارجية الأخرى من بينها: الصرب والبلغار، ولكن سرعان ما توترت العلاقات البيزنطية العثمانية من جديد عندما قام البيزنطيون بمساعدة مصطفى بن بايزيد الأول، أي أنهم عادوا إلى التدخل في النزاع الأسري العثماني، لذلك قام السلطان محمد بمواجهة الأطراف المتحالفة في أواخر عام (819هـ/1416م) وقد انتهت المعركة التي وقعت بالقرب من مدينة سالونيك - والتي استخلصها البيزنطيون بعد نكبة أنقرة - بهزيمة الأطراف المتحالفة، وقد كان من نتائج هذه المعركة حدوث ظاهرة اللجوء السياسي مفاد ذلك أن مصطفى بن بايزيد لجأ إلى سالونيك ولم

(1) المرجع نفسه، ص 60.

(2) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص 31-32.

(3) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 79.

يتم تسليمه إلى العثمانيين، ولكن البيزنطيون تعهدوا بعد السماح له بالخروج من المدينة طوال مدة حياته⁽¹⁾.

لم تشهد العلاقات البيزنطية العثمانية أي تطورات طوال مدة حكم السلطان محمد الأول نتيجة لانشغاله بالشئون الداخلية لدولته إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، حيث توفي في مدينة أدرنة عام (824هـ/1421م)⁽²⁾.

استمرت العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والعثمانيين بعد وفاة السلطان محمد الأول، حيث تولى ابنه مراد الثاني⁽³⁾ الحكم خلفاً له وقد طلب منه الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني أن يوقع له على معاهدة تمنعه من القيام بأي هجوم على الإمبراطورية البيزنطية، ولكن السلطان مراد الثاني رفض ذلك، وحاول الإمبراطور مقايضة الدولة العثمانية حيث أنه اشترط نظير عدم مساعدة مصطفى بن بايزيد، أن يعطيه السلطان مدينة غاليبولي⁽⁴⁾، وما لبث الإمبراطور البيزنطي أن اتبع نفس السياسة التي استعملها للضغط على الدولة العثمانية عقب نكبة أنقرة، وهي افتعال نوع من الصراع الأسري بين أفراد الأسرة العثمانية الحاكمة، لذلك قام بالإفراج عن مصطفى بن بايزيد، الذي قام بمهاجمة الأراضي العثمانية بعد أن تحصل على مساعدة من الإمبراطور البيزنطي مانويل، الذي جعل تحت إمرته عدداً من الجنود البيزنطيين، بالإضافة إلى دعمه بقوة من الأسطول الحربي⁽⁵⁾، وكان للعود التي قدمها مصطفى دوراً كبيراً في إطلاق سراحه، حيث أنه وعد البيزنطيين بإعطائهم العديد من

(1) المرجع نفسه، ص 79-80.

(2) محمد المحامي: المرجع السابق، ص 45.

(3) مراد الثاني: هو مراد بن محمد خان، تولى الحكم بعد وفاة والده منه، وكان عمره ثماني عشرة عاماً =

القرماني: المصدر السابق، 23/3.

(4) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 86.

(5) علي سلطان: المرجع السابق، ص 52.

الأراضي التي استحوذ عليها العثمانيون في أوقات سابقة على سبيل المثال المناطق الواقعة على سواحل بحري الأسود وممرمة⁽¹⁾، وعلى الرغم من النجاح الذي حققه مصطفى في غاليلوي، وأدرنه إلا أنه هُزم وقُتل في نهاية المطاف بسبب حدوث خيانة داخل عناصر جيشه⁽²⁾، ورداً على التدخل البيزنطي قام السلطان مراد بغزو عاصمة البيزنطيين القسطنطينية عام (1422م/826هـ)⁽³⁾ ولكن لم يلبث أن قام بسحب قواته، نتيجة لقيام فتته الداخلية قام بها أمراء الأناضول الذين دخلوا تحت سيطرة الدولة العثمانية، كذلك عاد الصراع الأسري داخل الأسرة الحاكمة العثمانية، الذي تمثل هذه المرة في تمرد مصطفى الأخ الأصغر لمراد الثاني، وقد تمكّن السلطان مراد من القضاء على كل هذه المشاكل الداخلية ليتفرغ لمشاكل الدولة الخارجية⁽⁴⁾، وفي تلك الآونة تحصلت البندقية على مدينة سالونيك التي كانت تحت سيطرة البيزنطيين بموجب اتفاق عقد بين الطرفين في الوقت الذي كانت فيه العاصمة البيزنطية محاصرة من قبل العثمانيين، ولقد قام السلطان مراد الثاني بعقد صلح مع الإمبراطورية البيزنطية، وذلك لأنه كان يريد قطع الطريق على أي محاولة تقوم بها البندقية أو غيرها تؤدي إلى تنازل الإمبراطورية عن عاصمتها نتيجة للضغوطات، وأهم ما نتج عن هذه الاتفاقية أن يتعهد العثمانيون بعدم التعدي على أراضي الإمبراطورية مقابل أن يقوم الإمبراطور البيزنطي بإرجاع المناطق التي استحوذ عليها من العثمانيون في عام (1403م/806هـ)، بالإضافة إلى دفع جزية للخزينة العثمانية في كل عام⁽⁵⁾.

(1) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 86.

(2) علي سلطان: المرجع السابق، ص 52-53.

(3) طه عبيد: المرجع السابق، ص 236.

(4) خليل اينالجيك: المرجع السابق، ص 34.

(5) المرجع نفسه، ص 34-35.

توفى الإمبراطور مانويل الثاني عام (829هـ/1425م) وتولى العرش الإمبراطوري خلفاً له ابنه يوحنا الثامن (829-852هـ/1425-1448م)، الذي استلم تركة ثقيلة حيث كان عليه أن يقوم بحكم إمبراطورية تعاني الكثير من الضعف والاضمحلال، وغير قادرة على حماية أراضيها، فقد خسرت عام (829هـ/1425م) مودون (Modon) الواقعة في المورة وذلك بعد أن سيطر عليها العثمانيون⁽¹⁾، بالإضافة إلى بعض الممتلكات البيزنطية المطلة على الساحل الروملي والبحر الأسود كما أن الإمبراطور البيزنطي تعهد بإعطاء الجزية للعثمانيين⁽²⁾، الذين تمكنوا من ضم سالونيك إلى ممتلكاتهم في عام (832هـ/1430م)⁽³⁾.

كانت الإمبراطورية البيزنطية تمر بفترة ضعف واضمحلال في تلك الآونة، وبخاصة أن الإمبراطور يوحنا لم تتوفر فيه صفات القائد الذي يمكن أن يعتمد عليه البيزنطيون في ذلك الوقت، حيث تمَّ في تلك المدة تجديد الدعوة لإنهاء الخلاف بين الكنيستين الغربية والشرقية⁽⁴⁾، وقد تمَّ انعقاد مجمعين دينيين الأول في عام (842هـ/1438م) والثاني عقد في العام الذي يليه في فلورنسا بإيطاليا، وقد نتج عن المجمع الثاني التصديق على وثيقة توحيد الكنيستين⁽⁵⁾.

تمَّ في مجمع فلورنسا أيضاً تجديد الدعوة لقيام حملة صليبية جديدة⁽⁶⁾، ولم تنجح عملية توحيد الكنيستين ومرد ذلك المعارضة الشديدة التي أبداهَا البيزنطيون إزاء هذا القرار، لذلك

(1) طه عبيد: المرجع السابق، ص236.

(2) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص89.

(3) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص426.

(4) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص123.

(5) المرجع نفسه، ص123.

(6) علي سلطان: المرجع السابق، ص54.

فشلت عملية التوحيد⁽¹⁾، هذا فيما يخص توحيد الكنيستين، أما فيما يخص الدعوة لحرب صليبية ضد الدولة العثمانية، فقد تمت الموافقة على ذلك، وقد شاركت العديد من البلدان الأوروبية في هذه الحملة من بينها: المجر وفرنسا وألمانيا وغيرها⁽²⁾، وقد استطاعت هذه الحملة أن تحقق العديد من الانتصارات على الجيش العثماني ومن بين هذه الانتصارات تلك التي حدثت في معركة وأزج عام (1442م/846هـ) ونيش في عام (1443م/847هـ) وغيرها من الانتصارات التي أجبرت السلطان العثماني مراد الثاني على عقد صلح معهم في نفس العام المذكور⁽³⁾، وهو ما يعرف بصلح أدرنة، كما أن السلطان مراد قدم العديد من التنازلات في هذا الصلح، والذي تمّ الاتفاق على استمراره لمدة عشر سنوات، وقد تمّ الاتفاق أيضاً على العديد من المحاور المهمة في إطار العلاقة بين الطرفين، ومن ضمن نتائجها اعتراف السلطان مراد الثاني باستقلال الصرب، كذلك تعهد المجرّيون (الهنغارزيون) بالتنازل عن ادعاءاتهم في الأراضي البلغارية، وعدم اجتياز نهر الدانوب⁽⁴⁾. وعدم قيام الدولة العثمانية بأي عمل عسكري شمال الدانوب، وتبادل أسرى الجانبين وغيرها من الأمور المهمة⁽⁵⁾.

قرر السلطان مراد الثاني أن يسلم الحكم لولده محمد⁽⁶⁾، الذي يبلغ من العمر حوالي أربعة عشر عاماً فقط، وقد رأى البابا يوجيونوس الرابع (834-851هـ/1431-1447م) أن الفرصة مواتية لتجديد الحرب على الدولة العثمانية، وقد قامت بعض الأطراف الموقعة على

(1) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص122.

(2) علي سلطان: المرجع السابق، ص54.

(3) علي سلطان: المرجع السابق، ص55.

(4) خليل إينالجيك: المرجع السابق، ص36.

(5) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص95.

(6) محمد: هو الملك المجاهد أبو المعالي محمد خان مراد خان جلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه بعهد منه إليه وكان عمره إذ ذاك تسعة عشر عاماً وخمسة أشهر = القرماني: المصدر السابق، 27/3.

معاهدة أدرنة بنقض الهدنة المعقودة مع العثمانيين، بينما تمسك بعض الزعماء في البلقان بها، ونتيجة لعدم قدرة السلطان محمد على مواجهة هذا الخطر، عاد السلطان مراد من جديد إلى الحكم ليقتضي على الحلف المكون ضد الدولة العثمانية والذي كان يتألف من فرنسا وانكلترا وغيرها من القوى الأوروبية، بما في ذلك الإمبراطورية البيزنطية، وقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تسعى جاهدة لاستعادة أراضيها الواقعة في أوروبا والتي كان العثمانيون قد استولوا عليها في وقت سابق، ولقد التقى الجيش العثماني بجيش الحلف الأوروبي في موقعة فارنا في عام (1444/هـ848م)، التي انتصر فيها العثمانيون، وعادت البلقان إلى حضيرة الدولة العثمانية، وبعدها عاد السلطان مراد الثاني يعتزل الحكم مرة أخرى، ولكنه اضطر إلى العودة إلى السلطة بسبب تدهور العلاقة بين السلطان محمد الثاني والجند الانكشارية الذين حرضهم الصدر الأعظم خليل باشا الجندرلي على السلطان محمد، وقد تمكن السلطان مراد من التصدي لهم⁽¹⁾، وقد شغلهم بالمعارك في بلاد اليونان⁽²⁾، كما قام بوضع حد للذين تحدوا سيادة الدولة العثمانية، ومن بين هؤلاء الأمير قسطنطين⁽³⁾. ابن الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني، الذي قسم والده أملاك الإمبراطورية بينه وبين أخيه الإمبراطور يوحنا، ومن ضمن الأراضي التي كانت من نصيب الأمير قسطنطين منطقة المورة وقسم من تساليا⁽⁴⁾، وكورنثة التي استطاع السلطان مراد فتحها عام (1446/هـ850م)⁽⁵⁾، وتمكن أيضاً من ضم إمارة أثينا⁽⁶⁾، وفرض الجزية على أهل المورة⁽¹⁾. وفي عام (1448/هـ852م) توفي الإمبراطور

(1) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 92 - 98.

(2) علي سلطان: المرجع السابق، ص 57.

(3) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 98.

(4) محمد المحامي: المرجع السابق، ص 57.

(5) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 98.

(6) طه عبيد: المرجع السابق، ص 237.

يوحنا الثامن ليتولى حكم الإمبراطورية البيزنطية خلفاً له أخوه قسطنطين الحادي عشر، الذي كان عليه أن يتولى حكم إمبراطورية ضعيفة ومضطربة وغير قادرة على حماية نفسها⁽²⁾.

رابعاً: نهاية الإمبراطورية البيزنطية:

بعد وفاة السلطان مراد الثاني في عام (1451م/855هـ)، تولى حكم الدولة العثمانية من بعده ابنه محمد، الذي تولى حكم العثمانيين فعلياً قبل هذا التاريخ، وهذا كان له دوراً كبيراً في صقل شخصيته وبالتالي أصبح على دراية كافية بأمور الحكم والسياسة وهو في ريعان شبابه، حيث أنه لم يتجاوز الحادية والعشرين عاماً⁽³⁾، وعندما تولى الحكم نشطت العلاقات الدبلوماسية بين العثمانيين والأطراف الخارجية، وقد شملت هذه العلاقات الإمبراطورية البيزنطية، التي قامت ببعث سفارة إلى الدولة العثمانية، وقد تمكن البيزنطيون من خلال هذه السفارة أن يحصلوا على موافقة العثمانيين بعدم مهاجمة العاصمة البيزنطية والأراضي التابعة لها. ولكن رغم هذا لم يأمن البيزنطيون جانب السلطان محمد الثاني، وذلك بسبب الأخبار التي كان ينقلها أعوان الإمبراطورية البيزنطية الموجودين في العاصمة العثمانية ومفادها رغبته في استئناف السياسة التوسعية لدولته على حساب الأراضي البيزنطية، وقد سعى البيزنطيون إلى تزويج الإمبراطور من زوجة ثرية يمكن الاستفادة من أموالها لمعالجة الضعف المالي الذي تعاني منه الإمبراطورية، وقد توصل البعض إلى إمكانية زواج الإمبراطور من زوجة والد السلطان محمد، ولكن يبدو أن هذه الفكرة لم تكن مناسبة لعدة أسباب منها خوف

(1) المرجع نفسه، ص237.

(2) إسحاق عبيد: المرجع السابق، ص125.

(3) محمود السيد: المرجع السابق، ص29.

البيزنطيين مما قد يقوم به السلطان محمد عند سماعه لذلك، لأنه قد يعد ذلك تطاولاً على كرامته⁽¹⁾.

قامت الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت بتشجيع إمارة قرمان على التمرد على الحكم العثماني⁽²⁾، ثم عملت على انتهاز فرصة خلاف القرمانيين مع الدولة العثمانية، وسعت إلى مقايضتها بان توافق لها على بعض المطالب وإلا سائقوم بالإفراج عن أورخان أحد الأمراء العثمانيين ليطالب بالحكم⁽³⁾، الذي كان يعيش في الأراضي البيزنطية منذ عصر السلطان مراد الثاني، حيث أن السلطان قد اتفق فيما بعد مع الإمبراطورية البيزنطية على بقاءه في العاصمة القسطنطينية، وقد كانا السلطانين مراد الثاني وابنه محمداً يُعطيان المال للإمبراطورية البيزنطية لقاء بقاءه في القسطنطينية، وذلك مرجعاً حرص الأسرة الحاكمة العثمانية على عدم مطالبته بالحكم⁽⁴⁾.

تمكّن السلطان محمد الثاني من فرض سيطرة الدولة على القرمانيين، ثم قام بالتوقف عن إرسال المال للبيزنطيين فيما يخص أورخان⁽⁵⁾، أنه قام ببناء قلعة روميلي حصار⁽⁶⁾، الواقعة قرب العاصمة البيزنطية، وموقعها يقابل موضع القلعة التي شيدها السلطان بايزيد الأول، وهي التي تعرف بأناضولي حصار، وقد ساعد ذلك العثمانيين على إحكام السيطرة على السفن المارة من البحر الأسود، وذلك بحكم موقع القلعتين الأولى على الجانب الأوروبي

(1) أسامة زيد والأمين أبو سعده: المرجع السابق، ص 267- 269.

(2) علي سلطان: المرجع السابق، ص 61.

(3) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 103.

(4) طه عبيد: المرجع السابق، ص 237- 238.

(5) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 105.

(6) عمر توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص 238- 239.

والثانية على الجانب الآسيوي⁽¹⁾، ولم يكتف السلطان بذلك من أجل قطع الطريق أمام أي مساعدة للإمبراطورية البيزنطية، بل عمل على ضم المورة إلى أملاكه حتى يضمن عزلة الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾، في حقيقة الأمر أن السلطان العثماني عمل على السيطرة على كل أراضي الإمبراطورية قبل أن يقوم بفتح القسطنطينية، لذلك استطاع العثمانيون السيطرة على المواقع التابعة لها في تراقيا⁽³⁾.

كانت الإمبراطورية البيزنطية تمر بظروف صعبة خلال تلك المدة، وقد وصلت المساعدة من جنوه⁽⁴⁾، بالإضافة إلى مجموعة من البنادقة، وأناس من الغرب الأوربي كانوا يستقرون في الإمبراطورية البيزنطية⁽⁵⁾، أما البابوية، فلم يكن بالإمكان الوصول إلى وفاق معها، وذلك لاعتراض سكان الإمبراطورية البيزنطية، لأن دعم البابوية لن يتم إلا بتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية⁽⁶⁾.

هذه هي الأحوال في الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية قبل بداية الهجوم العثماني على العاصمة القسطنطينية.

بدأ السلطان العثماني محمد الثاني بالهجوم على العاصمة البيزنطية في بداية شهر ابريل من عام (1453/هـ857م)، وكان تعداد الجيش العثماني يقدر بحوالي 160000، وكانت الإمبراطورية البيزنطية غير قادرة على جمع عدد كبير من المقاتلين وذلك مرجعة خلاف السكان مع قسطنطين الحادي عشر بسبب مسألة اتحاد الكنيستين، وعلى الرغم من هذا كله

(1) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 105.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص 239.

(3) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 107.

(4) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص 430.

(5) محمد طقوش: المرجع السابق، ص 107.

(6) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص 430.

تمكن المدافعون البيزنطيون والبالغ عددهم 9000 آلاف من إحباط الهجوم العثماني الأول المعزز بالمدفعية، ولكن قام السلطان محمد بخطوة مهمة مفادها انه تمكّن من استعمال أسطوله في القرن الذهبي، وفي 7 مايو قام العثمانيون بتكرار محاولة الهجوم، وقد تمكنوا من شق بعض الثغرات التي عن طريقها تمكنوا من الدخول إلى العاصمة القسطنطينية في نهاية شهر مايو من عام (1453/هـ857م)، وقد استطاعوا بعدها السيطرة علي العاصمة، وذلك بعد إصابة القائد الجنوبي جوستينياني الذي ترك أرض المعركة، ومقتل الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر، وبعدها أطلق لقب الفاتح على السلطان محمد الذي دخل العاصمة البيزنطية في يوم 30 مايو (1453/هـ857م)⁽¹⁾، وقد قام بتغيير اسم العاصمة البيزنطية ليصبح اسمها استانبول أو إسلام بول لتصبح العاصمة الجديدة للعثمانيين⁽²⁾.

اهتز العالم الأوربي كثيرا نتيجة لسقوط الإمبراطورية، وبخاصة أنها كانت صماماً أمنياً وجداراً عازلاً للقارة الأوروبية من أي غزو يأتي من القارة الآسيوية⁽³⁾.

هكذا انتهت العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية، بهذا الفتح الإسلامي العظيم، والذي سجل التاريخ أحداثه منذ البداية، حيث اظهر مدى دور القيادة الحكيمة في إدارة فترات الصراع وقوة الإيمان والعزيمة والصبر والتصميم على تحقيق الهدف، والذي انتهت صفحاته بأفون نجم الإمبراطورية البيزنطية وسطوع نجم العثمانيين الفاتحين الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

(1) عمران توفيق ومحمود عمران: المرجع السابق، ص 239 - 240.

(2) طه عبيد: المرجع السابق، ص240.

(3) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص113.

صفحة الخريطة

الخاتمة

لقد تطرقت في هذه الرسالة للعلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية في المدة من المستهدفة من البحث، وقبل حديثي عن هذه العلاقات، قدمت عرضاً للأوضاع السياسية والاقتصادية في العالمين البيزنطي والإسلامي، والأحداث الداخلية لكلا الطرفين وتأثير الأطراف الخارجية عليهما، وكذلك طبيعة الأنشطة الاقتصادية الممارسة عند البيزنطيين والمسلمين آنذاك وهي: الزراعة والصناعة والتجارة منهيّاً عرضي في هذا الجانب بتوضيح نوع العملة المتداولة في ذلك الوقت لدى الطرفين.

استهلت حديثي عن العلاقات بين البيزنطيين والمسلمين بعرض العلاقة بين البيزنطيين وسلاجقة الروم منذ بداية الحروب الصليبية ووقوع معركة ملاذكرد في التاريخ المذكور، ثم تناولت العلاقة بينهما قبل وصول أسرة باليولوجوس للحكم وبعده متضمناً في حديثي عن هذه العلاقة انعكاس هذه العلاقة على الطرفين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

بعدها تطرقت لعلاقة الإمبراطورية البيزنطية بالمماليك موضحاً الجذور التاريخية للمماليك. وبداية ظهورهم في العالم الإسلامي إبان مدة حكم الخلافة العباسية وبالتحديد في عصر الخليفة المأمون، ثم تتبعت تاريخهم ونشاطهم في السنوات اللاحقة من عمر الخلافة العباسية، حتى استطاعوا الوصول إلى عرش مصر عقب قتلهم لتوران شاه، ثم تناولت طبيعة علاقتهم بالبيزنطيين منذ عصر السلطانين الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون.

وبعد ذلك استعرضت العلاقة بينهما خلال مدة حكم المماليك البرجية، منهيّاً عرضي في هذا الجانب بالنتائج السياسية والاقتصادية لهذه العلاقة التي غلب عليها الطابع الودي الذي اقتضته المصلحة آنذاك.

أخيراً وليس آخراً تناولت العلاقة بين البيزنطيين والأتراك العثمانيين الذين فرضت عليهم الظروف منذ بداية تأسيسهم الاضطدام بالعثمانيين، متتبعاً هذه العلاقة منذ قيام الدولة حتى عصر السلطان محمد الفاتح الذي تمكن من افتتاح القسطنطينية عام (1453/هـ857م).

من خلال هذه الدراسة تمكنت من الوقوف على عدة نتائج مهمة وهي على النحو التالي:

1. اتضح لي أن لا يمكن تصنيف الحملة التي قام بها الصليبيون اللاتين على القسطنطينية

عام (1204/هـ601م) على أنها حملة صليبية لأن أطراف النزاع فيها كانوا نصارى.

2. اتضح بعد هذه الدراسة أن العامل الاقتصادي من ابرز الأسباب في قيام الحملات

الصليبية، والدليل على هذا هو توجه الحملة عام (1204/هـ601م) إلى مدينة نصرانية

وهي القسطنطينية بدلاً من البلاد الإسلامية، وذلك لأنهم وجدوا ظلتهم وهي "العنيفة"

في العاصمة البيزنطية. والدليل على ذلك ما فعله البنادقة خلال الحملة.

3. تبين لي أن السبب الحقيقي لقيام دولة السلاجقة يرجع لضعف العنصر العربي في

الخلافة العباسية بالإضافة إلى انتشار نظام الإقطاع، الذي أو جبته الظروف السياسية

المحيطة بالخلافة العباسية آنذاك.

4. اتضح لي أن أتباع السلاجقة في صراعهم مع الإمبراطورية البيزنطية استعملوا سياسة

استرسالية الفتح، وهذا مرجعه الرغبة التوسعية للسلاجقة، ورفع راية الإسلام في تلك

المنطقة.

5. الصراع البيزنطي السلجوقي أثبت مدى عجز الإمبراطورية عن حماية أراضيها أمام

المد السلجوقي. وهذا ما أثبتته اشتراك ميخائيل الثامن في مجمع ليون عام

(1274/هـ673م) أصبح مؤشراً على البداية الفعلية لسقوط الإمبراطورية البيزنطية.

6. بينت الدراسة أنه كان للعلاقة الودية الناتجة عن التحالف "المصالحى الذى اقتضته الظروف السياسية آنذاك بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك" دوراً مهماً فى إطالة عمر الإمبراطورية ومفاد ذلك أنه أدى إلى أشغال الصليبيين اللاتين عن مهاجمة الأراضى البيزنطية واهتمامهم بحماية إماراتهم فى بلاد الشام التى كانت عرضه لهجمات المماليك الذين استفردوا بهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نتج عنه تخليص البيزنطيين من سيطرة المغول، الذين هزموا على يد المماليك.

7. اتضح لى من أهم الأسباب التى سهلت قيام العلاقة الودية بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك هو الموقع؛ ومفاد ذلك عدم وجود أراضى تابعة لسلطنة المماليك فى آسيا الصغرى وبالتالي لم يكن من الصعب إيجاد نوع من التقارب فى وجهات النظر فى العديد من الأمور.

8. كان الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العثمانية مصيرى وذلك مرجعه اختلاف الأديان وطبيعة الأتراك الغزاة، وأن الأراضى البيزنطية كانت بوابة العثمانيين إلى أوربا، ولذلك كان على العثمانيين أن يقضوا على سيادة الإمبراطورية فى آسيا الصغرى لأنهم كانوا يريدون تجنب ترك أى عدو وراءهم.

9. يعود السبب الرئيس لهزيمة العثمانيين فى أنقرة عام (805هـ/1402م) إلى تركيز العثمانيين على الزحف غرباً صوب الأراضى البيزنطية، وإهمالهم تأمين حدودهم الشرقية.

10. تغيير وجهة نظر القوى الأوروبية فى الصراع البيزنطى الإسلامى فى منتصف القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، فلم يعد المهم بالنسبة لهم الحصول على المكاسب المادية بل تأمين أراضىهم من ناحية الشرق، وبخاصة أن العثمانيين قوم

غزاة، ذوي أهداف توسعية على الرغم من وجود بعض الأطماع وبخاصة من طرف البنادقة، الذين كان لهم دوراً مهماً في الصراع البيزنطي العثماني، حيث أنهم أرادوا الحصول على مكاسب مادية نتيجة لتنافسهم مع المدن التجارية الأخرى.

11. بعد تتبع العلاقات البيزنطية الإسلامية في المدة الممتدة ما بين أعوام (660-857هـ/1261-1453م) اتضح أن العامل الأهم لقيام الحملات الصليبية غير ثابت، فأحياناً يكون العامل الاقتصادي هو الأبرز، وأحياناً أخرى يكون العامل الديني هو الدافع الأول، وذلك مرجعه طبيعة ظروف الصراع طوال مراحل الصراع.

12. من أسباب فشل الحملات الصليبية المتأخرة التنافس بين البندقية وجنوه، وضعف سلطة البابوية أمام السلطة الزمنية، ذات التوجهات المختلفة غير الموحدة، وهذا بطبيعة الحال كان عائقاً دون توحيد الجهود ضد العثمانيين.

أما بخصوص التوصيات المتعلقة بهذه الدراسة فهي تتعلق ببعض الكتب التي كان بالإمكان أن تقدم إضافة جيدة لهذه الدراسة، ولكن نتيجة لعدم توفرها أو بسبب عدم إمكانية الحصول عليها من شبكة المعلومات الدولية الانترنت لذلك تعذر الاستفادة منها ومن أهمها كتاب ابن بيبى "الأوامر العلانية في الأمور العلانية" المعروف بمختصر سلجوقنامه، وعليه فأنتى أتمنى من أي باحث أن يتحصل على هذا الكتاب، قبل القيام بأي دراسة تتعلق بدولة سلاجقة الروم "المسلمين".

كما أرجو من الباحثين الذين سيتناولون موضوعات قريبة من موضوع هذه الرسالة أن يتوسعوا في البحث عن ما لم استطع الإسهاب فيه وذلك مرجعه؛ التقيد باللوائح التي تنظم سير الدراسات العليا، وقد واجهتني هذه الإشكالية في الفصل الرابع على سبيل المثال عند الحديث عن سير الفتوحات العثمانية في أوربا.

أخيراً لا يسعني إلا أن أقول الحمد لله الذي وفقني في إنجاز وإتمام هذه الدراسة، وإن
الكمال لله وحده، وادعوا الله العلي القدير أن تعود بالفائدة على كل من طرق باب البحث في
هذا المجال.

الباحث

الملاحق

المحلق الأول: نسختين حرفيتين للمراسلتين المتبادلتين بين الإمبراطور ميخائيل الثامن والسلطان المملوكي المنصور قلاوون.

المحلق الثاني: قائمة بأسماء أباطرة أسرة باليولوجوس البيزنطية وسلاطين الدول الإسلامية موضوع الرسالة.

1. قائمة بأسماء أسرة باليولوجوس.
2. قائمة بأسماء سلاطين دولة سلاجقة الروم.
3. قائمة بأسماء سلاطين المماليك حتى عام 1453/هـ857م
أ. سلاطين المماليك البحرية.
ب. سلاطين المماليك البرجية.
4. قائمة بأسماء سلاطين الدولة العثمانية حتى عام 1453/هـ857م.

ملحق (الأول)

نسختين حرفيتين للمراسلتين المتبادلتين بين الإمبراطور
ميخائيل الثامن والسلطان المملوكي المنصور قلاوون

ملحق (الثاني)

قائمة بأسماء أباطرة أسرة باليولوجوس

البيزنطية وسلاطين الدول الإسلامية موضوع

الرسالة:

1. قائمة بأسماء أسرة باليولوجوس البيزنطية.

الاسم	تاريخ
1 ميخائيل الثامن باليولوجوس	(1258 - 1282م)
2 اندرونيق الثاني	(1282 - 1328م)
3 اندرونيق الثالث	(1328 - 1341م)
4 يوحنا الخامس	(1341 - 1347م)
5 يوحنا بالسادس كنتاكوزينوس	(1347 - 1355م)
6 يوحنا الخامس	(1355 - 1376م)
7 اندرونيق الرابع	(1376 - 1379م)
8 يوحنا الخامس	(1379 - 1393م)
9 يوحنا السابع	(1390م)
10 يوحنا الخامس	(1390 - 1391م)
11 مانويل الثاني	(1391 - 1425م)
12 يوحنا الثامن	(1425 - 1449م)
13 قسطنطين الحادي عشر	(1448 - 1453م)

تاريخ

الاسم

(1) جوزيف يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص299.

2. قائمة بأسماء سلاطين دولة سلاجقة الروم.

تاريخ

الاسم

- سليمان بن قتلمش (470-479هـ / 1077 - 1086م)
- قلع أرسلان داوود بن سليمان:
- قلع أرسلان الأول (485 - 500هـ / 1092 - 1107م)
- ملكشاه بن قلع أرسلان (503 - 510هـ / 1109 - 1116م)
- ركن الدين مسعود بن قلع أرسلان:
- مسعود الأول (510-510هـ / 1116 - 1155م)
- عز الدين قلع أرسلان بن مسعود:
- قلع أرسلان الثاني (550-588هـ / 1155 - 1192م)
- غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان:
- المرة الأولى (588 - 593هـ / 1192 - 1196م)
- ركن الدين سليمان شاه بن قلع أرسلان (593 - 601هـ / 1196 - 1204م)
- عز الدين قلع أرسلان بن ركن الدين سليمان شاه:
- قلع أرسلان الثالث (601هـ / 1204م)
- غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان:
- المرة الثانية (601 - 608هـ / 1204 - 1212م)

الاسم	تاريخ
- عز الدين كيكائوس بن كيخسرو:	(608 - 616 هـ / 1212 - 1219 م)
كيكائوس الأول	
(1) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص373.	
- علاء الدين كيقباد بن كيخسرو:	(616 - 634 هـ / 1219 - 1237 م)
كيقباد الأول	
- غياث الدين كيخسرو بن كيقباد:	(634 - 644 هـ / 1237 - 1246 م)
كيخسرو الثاني	
- عز الدين كيكائوس بن كيخسرو:	(644 - 678 هـ / 1246 - 1279 م)
كيكائوس الثاني	
- ركن الدين قلع أرسلان بن كيخسرو:	(644 - 664 هـ / 1246 - 1265 م)
قلع أرسلان الرابع	
- علاء الدين كيقباد بن كيخسرو:	(644 - 655 هـ / 1246 - 1257 م)
كيقباد الثاني	
- غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلع أرسلان:	(664 - 682 هـ / 1265 - 1283 م)
كيخسرو الثالث	
- غياث الدين مسعود بن الدين كيكائوس الثاني:	(680 - 696 هـ / 1281 - 1296 م)
مسعود الثاني: المرة الأولى:	
- علاء الدين كيقباد بن فرامرز بن كيكائوس الثاني:	

الاسم	تاريخ
كيقباد الثالث	(696 - 701 هـ / 1296 - 1301 م)
- غياث الدين مسعود بن عز الدين كيكاس الثاني:	
- مسعود الثاني: المرة الثانية	(701 - 704 هـ / 1301 - 1304 م)

(1) محمد طقوش: تاريخ سلاجقة الروم، ص ص 373- 374.

3. قائمة بأسماء سلاطين المماليك حتى عام 857هـ/1453م.

أ. قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية

الاسم	تاريخ
- السلطانة شجرة الدر	(648 هـ / 1250 م)
- السلطان عز الدين ابيك التركماني	(648-655 هـ / 1250 - 1257 م)
- السلطان نور الدين علي بن المعز ابيك	(655-657 هـ / 1257 - 1258 م)
- السلطان المظفر سيف الدين قطز	(657-658 هـ / 1258 - 1259 م)
- السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس	(658-676 هـ / 1259 - 1277 م)
- السلطان محمد برکه خان بن بيبرس	(676-678 هـ / 1277 - 1279 م)
- السلطان سلامش بن بيبرس	(678-679 هـ / 1279 - 1280 م)
- السلطان المنصور سيف الدين قلاوون	(679-689 هـ / 1280 - 1290 م)
- السلطان الأشرف خليل بن قلاوون	(689-693 هـ / 1290 - 1293 م)
- السلطان الناصر محمد بن قلاوون	(693-694 هـ / 1293 - 1294 م)
- السلطان العادل زين الدين كتبغا	(694-696 هـ / 1294 - 1296 م)

الاسم	تاريخ
- السلطان حسام الدين لاجين	(696-698 هـ / 1296 - 1298 م)
- السلطان الناصر محمد (سلطنته الثانية)	(698 - 708 هـ / 1298 - 1308 م)
- السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير	(708-709 هـ / 1308 - 1309 م)
- السلطان الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الا	(709 - 741 هـ / 1309 - 1340 م)
(1) عزيزة إقجام: المرجع السابق، ص 181.	
- السلطان سيف الدين أبو بكر محمد بن قلاوون	(742 هـ / 1341 م)
- السلطان شهاب الدين أحمد بن محمد بن قلاوون	(742-743 هـ / 1341 - 1342 م)
- السلطان عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون	(743-746 هـ / 1342 - 1345 م)
- السلطان الكامل سيف الدين شعبان	(746-747 هـ / 1345 - 1346 م)
- السلطان زين الدين حاجي	(747-748 هـ / 1346 - 1347 م)
- السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	(748-752 هـ / 1347 - 1351 م)
- السلطان صلاح الدين صلاح بن محمد	(752-755 هـ / 1351 - 1354 م)
- السلطان الناصر حسن بن محمد (سلطنته الثانية)	(755-765 هـ / 1354 - 1360 م)
- السلطان صلاح الدين محمد بن حاجي	(762-764 هـ / 1360 - 1362 م)
- السلطان شعبان بن حسن	(764-778 هـ / 1362 - 1376 م)
- السلطان علاء الدين علي بن شعبان	(778-783 هـ / 1376 - 1381 م)
- السلطان زين الدين حاجي بن شعبان	(783-784 هـ / 1381 - 1382 م)

(1) عزيزة إقجام: المرجع السابق، ص 181.

ب. قائمة بأسماء سلاطين المماليك البرجية

تاريخ	الاسم
(784 - 790 هـ / 1382 - 1377 م)	- الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الأولى
(790 - 792 هـ / 1388 - 1390 م)	- الصالح حاجي بن شعبان
(792 - 801 هـ / 1390 - 1399 م)	- الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الثانية
(801 - 815 هـ / 1399 - 1411 م)	- الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق
(815 هـ / 1412 م)	- الخليفة البعاسي المستعين
(815 - 824 هـ / 1412 - 1412 م)	- المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي
(812 هـ / 1421 م)	- المظفر أحمد بن شيخ
(824 هـ / 1421 م)	- الظاهر سيف الدين ططر
(824 - 825 هـ / 1421 - 1422 م)	- محمد بن ططر
(825 - 841 هـ / 1422 - 1438 م)	- الأشرف برسباي
(841 هـ / 1438 م)	- أبو المحاسن يوسف بن برسباي
(843 - 857 هـ / 1438 - 1453 م)	- الظاهر جقمق

الاسم	تاريخ
- المنصور عثمان بن جقمق	(1453م / 857هـ)

(1) محمد طقوش: تاريخ الممالك، ص 576.

4. قائمة بأسماء سلاطين الدولة العثمانية حتى عام 1453/857م.

الاسم	تاريخ
1 عثمان الأول بن أرطغرل	(680-726هـ / 1281-1326م)
2 أورخان بن عثمان	(726-761هـ / 1326-1360م)
3 مراد الأول بن أورخان	(761-791هـ / 1360-1389م)
4 بايزيد الأول بن مراد	(791-805هـ / 1389-1403م)
5 محمد الأول شلبي بن بايزيد	(816-824هـ / 1413-1421م)
6 مراد الثاني بن محمد	(824-855هـ / 1421-1451م)
7 محمد الثاني (الفتاح) بن مراد	(855-886هـ / 1451-1481م)

الاسم

تاريخ

(1) محمد طقوش: تاريخ العثمانيين، ص 590.

مصادر ومراجع البحث

أولاً- المصادر العربية والمعربة:

- القرآن الكريم (برواية قالون).
- ابن الأثير، عزالدين علي أبو الكرم (المتوفى عام 630هـ / 1232م).
- الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت، 2003م).
- ابن إياس، محمد بن أحمد (المتوفى عام 930هـ / 1523م).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب (بدون مكان، 1960م).
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (المتوفى عام 779هـ / 1377م)
- رحلة ابن بطوطة، دار صادر (بيروت، 1964م)
- ابن تَغْرِي بَرْدِي، جمال الدين أبو المحاسن (المتوفى عام 874هـ / 1469م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية (بيروت، بدون تاريخ).
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (المتوفى عام 808هـ / 1405م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، 2000م).
- ابن خَلْكَان، أبو العباس شمس الدين أحمد (المتوفى عام 681هـ / 1282م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر (بيروت، 2005م).

- ابن عذاري المراكشي،
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، 1983م).
- ابن عرب شاه، شهاب الدين أحمد (المتوفى عام 854هـ / 1450م)
- عجائب المقدور في أخبار تيمور، مطبعة دوكانند في بندر (كلكتة، 1882م).
- ابن الوكيل، يوسف الملوني (المتوفى عام 1131هـ / 1719م)
- تحفة الأحاب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، دار الآفاق العربية (القاهرة، 1999م).
- أبو شامه، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (المتوفى عام 665هـ / 1267م).
- عُيُون الرُّوضَتَيْنِ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَتَيْنِ النُّورِيَّةِ وَالصَّلَاحِيَّةِ، تحقيق: أحمد البيسومي، وزارة الثقافة (دمشق، 1991م).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (المتوفى عام 722هـ / 1221م).
- التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 1995م).
- المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وآخرون، دار المعرفة (القاهرة، بدون تاريخ).

- اورسيوس،
- تاريخ العالم، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر (بيروت، 1982م).
- نيقولو، بارباور،
- الفتح الإسلامي للقسطنطينية "يوميات الحصار العثماني 1453م"
ترجمة: حاتم عبدالرحمن الطحاوي، عين للدراسات والبحوث
الإنسانية (القاهرة، 2002م).
- البكري، أبو عبيدالله عبدالله بن عبدالله بن عبدالعزيز (المتوفى عام 487هـ / 1094م).
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب مكتبة المثنى (بغداد،
بدون تاريخ).
- جاويش، سليمان بن خليل بن بطرس
- التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، دار صادر (بيروت،
1995م).
- الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (المتوفى عام 622هـ / 1225م)
- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد
نور الدين، دار أفرا (بيروت، 1985م).
- الدمشقي، شهاب الدين أبو الفلاح (المتوفى عام 1089هـ / 1687م)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط،
دار ابن كثير (دمشق، بدون تاريخ)

- **الذهبي،** شمس الدين محمد بن احمد (المتوفى عام 748هـ / 1347م)
- سیر أعلام النبلاء, تحقيق: بشار عواد معروف ومحیی هلال السرحان، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1985م).
- **الشهرستاني،** أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (المتوفى عام 548هـ / 1152م)
- الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة (بيوت، بدون تاريخ).
- **الغساني،** أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم
- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، ترجمة وتحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي (تونس، 1990م).
- **القرماني،** أحمد بن يوسف بن أحمد (المتوفى عام 1019هـ / 1610م).
- أخبار الدُول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: فهد سعد وأحمد حطيط، عالم الكتب (بيروت، 1992م).
- **القلقشندي،** أبو العباس أحمد بن علي (المتوفى عام 821هـ / 1418م).
- صُبْحُ الأَعْشَى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1923م).
- **الكبتي،** محمد بن شاكر (المتوفى عام 764هـ / 1362م)
- فوات الوفيات والذيل عليها، دار صادر (بيروت، بدون تاريخ).
- **المسعودي،** علي بن الحسين (المتوفى عام 246هـ / 860م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات الثقافة (دمشق، 1988م).

- المنصوري، بيبرس

- مختار المختار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى
سنة 702هـ تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان الدار المصرية
البنانية (القاهرة، 1993م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (المتوفى عام 626هـ / 1228م).

- مُعجم البلدان، دار صادر (بيروت، 1977م).

ثانياً - المراجع:

- أبو مصطفى، كمال السيد

جوانب من الحياة الاقتصادية والدينية والعلمية في بلاد المغرب
الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 1996م).

- أنيس، محمد

الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914م) مكتبة الانجلو
المصرية (القاهرة، 1999م).

- أومان،

الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى لحذب، دار الفكر العربي
(القاهرة، بدون تاريخ).

- إينالجيك، خليل

تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد،
الانأوط، دار الإسلامية (بيروت، 2002م).

- أيوب، إبراهيم
التاريخ السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب (بيروت،
1989م).
- باركر، ارنست
الحروب الصليبية، ترجمة: السيد العريني: دار النهضة العربية
(بيروت، 1967م).
- بروكلمان، كارل
تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي،
دار العلم للملايين (بيروت، 1997م).
- بن ناصر، خليفة أبوبكر وصلاح هادي الحيدري
الموجز في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، منشورات،
جامعة درنة (درنة، 2002م).
- بينز، نورمان
الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1950م).
- توفيق، عمر كمال ومحمود سعيد عمران
تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2010م).
- الجمل، محمد عبد المنعم
الدولة الإسلامية المستقلة في المشرق التاريخ والحضارة، دار

المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2002م).

- **الحريري،** سيد علي
الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، الزهراء للإعلام العربي
(القاهرة، 1985م).
- **حسن،** حسن إبراهيم
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي
الرابع، دار الجيل (بيروت، 1996م).
- **حسن،** علي إبراهيم
- تاريخ الممالك البحرية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة،
1967م).
- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلي الفتح الإسلامي،
مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1993م).
- **حسين،** حمدي عبد المنعم محمد
- دراسات في تاريخ الأيوبيين المماليك، دار المعرفة الجامعية
(القاهرة، 2006م)
- الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2002م).
- **حلمي،** أحمد كمال
السلطنة في التاريخ والحضارة، ذات السلاسل (الكويت، 1986م).
- **حمادة،** محمد ماهر
الوثائق السياسية العائدة للعصور العباسية المتتالية (647-656هـ/

861-1258م) دراسة نصوص، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1978م).

محمد بك

- الخصري،

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة، بدون تاريخ).

نوار إبراهيم

- الدينالي،

الدولة البيزنطية في فترة حكم الأسرة الايسورية والعمورية (717-967م) دراسة تحليلية مقارنة، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 2008).

زكية عبدالسلام

- الراجحي،

العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية خلال الفترة (305-448هـ/917-1056م) منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 2008م).

عبد الكريم

- رافق،

العرب والعثمانيون (1516-1916م) (دمشق، 1974م).

حسنين محمد

- ربيع،

دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 1995م).

عبدالرحيم

- رمضان،

الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف (القاهرة، 1983م).

- زيد, أسامة زكي والأمين أبو سعده
معالم تاريخ الدولة البيزنطية وحضارتها (بدون مكان, 2007م).
- سالم, سحر السيد عبدالعزيز ومصطفى مشرفة
دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي, مؤسسة
شباب الجامعة (الإسكندرية, 2005م).
- سلامة, إبراهيم خميس إبراهيم
دراسات في الحروب الصليبية, دار المعرفة الجامعية (القاهرة,
2002م).
- سلطان, علي
تاريخ الدولة العثمانية, منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية
(طرابلس, بدون تاريخ).
- السيد محمود
التاريخ الإسلامي العهد المملوكي (656-923هـ) المكتب الإسلامي
(بيروت, 1991م).
- الشطشاط, علي حسين
تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى,
منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي (بنغازي, 2004م).
- الشيخ, محمد محمد موسى
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية, دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية,

- 1994م).
- الصلابي، علي محمد
دولة السلاجقة، مؤسسة أقرأ (القاهرة، 2006م).
- طرخان، إبراهيم علي
مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (13821517م) مكتبة
النهضة المصرية (القاهرة، 1960م)
- طقوش، محمد سهيل
- تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس (بيروت، 2011م).
- تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النفائس (بيروت،
2008م).
- تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار
النفائس (بيروت، 2008م).
- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس (بيروت،
1987م).
- عاشور، سعيد عبدالفتاح
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار
النهضة العربية (بيروت، 1991م).
- العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية (القاهرة،
1976م).
- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية

(بيروت، 1992م).

- عاشور، فايد حماد محمد
الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي
(طرابلس، 1995م).
- العبادي، احمد مختار
تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر (بيروت، 1995م).
- عبد القوي، زينب عبدالمجيد
الانجليز والحروب الصليبية في الفترة من 1189-1291، عين
الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 1996م).
- عبدالمنعم، صبحي
المغول والمماليك السياسية والصراع (سياسة المغول الايلخانيين تجاه
دولة المماليك في مصر والشام (716-736هـ/1316-1335م) العربي
للنشر والتوزيع (القاهرة، 2001م).
- العبود، نافع توفيق
الدولة الخوارزمية نشأتها علاقاتها في الدولة الإسلامية - نظمها
العسكرية والإدارية (490-624هـ/1097-1231م) مطبعة الجامعة
(بغداد، 1987م).
- عبيد، إسحاق
الدولة البيزنطية في عصر باليولوجوس (1261 - 1282م) منشورات

جامعة بنغازي (بنغازي، بدون تاريخ).

- عبيد، طه خضر
تاريخ الدولة البيزنطية (324-1453م) دار الفكر (عمان، 2010م).
- العريني، السيد الباز
- الدولة البيزنطية (323-1081م) دار النهضة العربية (بيروت، 1982م).
- المماليك، دار النهضة العربية (بيروت، بدون تاريخ).
- العسبلي، بسام
المظفر قطز، وعين جالوت، دار النفائس (بيروت، 1980م).
- عطا، زبيدة
بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيين،
دار الفكر العربي (بدون مكان، بدون تاريخ).
- عطية، زبيدة
الحروب الصليبية وتأثيرها علي العلاقات بين الشرق والغرب،
ترجمة: فيليب صابر سيف، الثقافة (القاهرة، بدون تاريخ).
- عمران، محمود سعيد
- تاريخ الحروب الصليبية (1095-1261م) دار النهضة العربية
(بيروت، 1990م).
- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية
(القاهرة، 2000م).

- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت، 1986م).
- المغول والأوروبيون والصليبيون، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2003م).
- عوض، محمد مؤنس
الحروب الصليبية (العلاقة بين الشرق والغرب) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 1999م).
- غرابية، عبدالكريم
العرب والأتراك، دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة، مطبعة دمشق (دمشق، 1961م).
- الغنای، أمراجع عقيلة
سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1988م).
- غنيم، أسمت
تاريخ الدولة البيزنطية (324 - 1453م) دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1987م).
- الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف (القاهرة، 1982م).
- فوزي، فاروق عمر
الخلافة العباسية السقوط والانهييار، دار الشرق، (عمان، 1998م).

- قاسم
عبد قاسم
عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة، 1994م).
- الكبي،
زهير
موسوعة خلفاء المسلمين، دار الفكر العربي (بيروت، 1994م).
- كوبريلي،
محمد فؤاد
قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية
العامة للكتاب (القاهرة، 1980م).
- لويس،
برنارد
اسطنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: سيد رضوان
علي، منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، بدون تاريخ).
- المحامي،
أحمد عبدالرحيم
أصول التاريخ العثماني، دار الشروق (القاهرة، 1998م).
- مصطفى،
نادية محمود وآخرون
العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي العصر المملوكي من تصفية
الوجود الصليبي إلى الجهة الأوروبية الثانية، المعهد العالمي للفكر
الإسلامي (القاهرة، 1996م).
- المطوي،
محمد العروسي
الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي
(تونس، 1982م).

- منصور، محمد صالح
- أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1996م).
- العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالأندلس يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1995م).
- موسى، عز الدين أحمد
النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق (القاهرة، 1993م).
- موسى، ه . سانت ل . ب
ميلاد العصور الوسطى (395-814م)، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد والسيد العريني، عالم الكتب (القاهرة، 1967م).
- نعيم، سهير محمد إبراهيم
الحروب الصليبية المتأخرة - حملة بطرس لوسينان على الإسكندرية (767هـ/1365م) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 2002م).
- هالدون، جون
بيزنطة في حرب (600 - 1423م)، ترجمة وتعليق: فتحي عبدالعزيز محمد، دار ناشري للنشر الالكتروني (الكويت، 2011م).

- ياغي، إسماعيل أحمد
الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكات (بدون مكان، 1998م).
- اليوزيكي، توفيق سلطان
تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، دار الكتب للطباعة (الموصل، 1975م).
- يوسف، جوزيف نسيم
- تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453م) دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1994م).
- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1988م).
- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية، دار الجامعية (الإسكندرية، 1989م).
- اليوسف، عبدالقادر أحمد
علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، منشورات المكتبة المصرية (صيدا- بيروت، 1969م).

ثالثاً - المراجع الأجنبية

- Brubaker, Jeffrey d: "The end followed in no Long time" Byzantine diplomacy and the Relations with the west form 962 to 1204, copyright by Jeff brubaker (Texas – 2009).
- Byzantine empire From wikipedia, the free- encyclopedia
- Hussey, J. m: The Orthodox Church in the Byzantine empire, Clarendon press (oxford,1984).
- Laiou Angeliki, and Roy Parviz The Cruasdes From The Perspective of Byzantium and the Muslim World, Harvard University (Washington, 2001).
- Meyendorff, Fr. John: Theology in the thirteenth Century: Methodological Contrasts, From Kathigitria: Essays Presented to Joan Hussey, Porphyrogenitus Publishing, 1998.
- Shepard, Jonathan: The Cambridge history of the Byzantine empire (500-1492) (Cambridge University, 2008).
- Vasiliev, A.A: History of the Byzantine empire.

رابعاً - الموسوعات :

- جودة، محمد غريب
موجز تاريخ العالم بالأحداث والسنوات - موسوعة للمعلومات
الأساسية، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع (القاهرة، بدون
تاريخ).
- زكار، سهيل
الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق، 1995م).
- كاشف، سيدة إسماعيل وآخرون
موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية، الهيئة
المصرية للكتاب (القاهرة، 2001م).

خامساً - الدوريات :

- حاجيات، عبدالحميد
الحملة الصليبية الأولى وأثرها في تطور العالم، مجلة التاريخ العربي
والعالم، العددان 99 - 100 لسنة 1987م (بيروت، 1987م).
- شريجيله، جوتس
شجرة الدر سلطنة مصر، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد التاسع
عشر السنة الثانية (بيروت، 1980م).
- عامر، محمود علي
الإمبراطورية العثمانية، مجلة تاريخ العرب والعالم، الأعداد 66، 69

السنة السادسة (بيروت، 1984م).

- فرج، نعيم

الصراع العربي البيزنطي للسيطرة على البحر المتوسط في القرن
الثامن للميلاد، مجلة الدراسات التاريخية، العددان التاسع والعاشر

(دمشق، 1982م).

سادساً - المعاجم والأطالس:

أ. المعاجم:

- أبو الذهب، أشرف طه

المعجم الإسلامي، دار الشروق، (القاهرة، 2002م).

- مجمع اللغة العربية،

المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، (القاهرة، 1994م).

- المعجم الوسيط،

مكتبة الشروق الدولية (بدون مكان، 2002م).

ب. الأطالس

- روثفن، ماليز

الأطالس التاريخي للعالم الإسلامي، ترجمة: سامي كعكي، أكاديميا

انترناتسونال (بيروت، 2007م).

سابعاً - الرسائل العلمية:

- اقجام، عزيزة سليمان عبدالله

المظاهر الحضارية في دولة المماليك البحرية (648-784هـ/1250-

1382م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس،
خلال العام الدراسي 2010م.

- الجافل، ناصر محمد حامد

السياسة الخارجية لدولة المماليك البحرية (1250 - 1382م) رسالة
ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس، خلال عام الجامعي
2005 - 2006م.

- حميد، خميس أحمد ارحومة

أثر السلاجقة في العلاقات بين الشرق والغرب (429-657هـ/1073-
1258م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس سنة،
2006م).

- الزوي، آمال سليمان عبدالحميد

التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمغول على
المشرق الإسلامي (61-720هـ/1218-1320م) رسالة ماجستير
غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس خلال العام الدراسي 2001.

- علي، عز الدين يونس حسن

البندقية وآثرها في العلاقات بين الشرق والغرب (487-
691هـ/1095-1291م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة
قاريونس سنة 2005م.

فهرس البحث

الصفحة	الموضوع
أ	- الآية القرآنية.
ب	- الإهداء.
ج	- الشكر والتقدير.
7-1	- المقدمة.
الفصل الأول	
40-8	- الأوضاع السياسية والاقتصادية في الإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي قبل عام (1261/هـ660م)
21-9	- أولاً: الأوضاع السياسية في الإمبراطورية البيزنطية قبل سنة (1261م / هـ660)
17-10	1. ظهور الكيانات المستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية
21-17	2. عودة وحدة أراضي الإمبراطورية
26-21	- ثانياً: الأوضاع الاقتصادية
22	1. الزراعة
23	2. الصناعة
25-23	3. التجارة
25	4. العملة
34-26	- ثالثاً: الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي
32-26	1. ظهور الدويلات المستقلة عن سلطة الخلافة العباسية
34-32	2. سقوط الخلافة العباسية
39-34	- رابعاً: الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي
36-34	1. الزراعة
37-36	2. الصناعة
39-37	3. التجارة
39	4. العملة

الفصل الثاني

- 66-41 - العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة سلاجقة الروم
- 48-42 - أولاً: قيام دولة سلاجقة الروم واصطدامها بالبيزنطيين (455هـ / 1063م)
- 43-42 1. نشأة الدولة
- 48-43 2. العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والسلاجقة عام (659هـ / 1261م)
- 55-49 - ثانياً: العلاقات البيزنطية السلجوقية في الفترة من (660-699هـ / 1261-1300م)
- 66-55 - ثالثاً: الآثار المترتبة على العلاقات البيزنطية السلجوقية
- 60-55 1. الآثار السياسية
- 57-55 أ. استنزاف قوة الطرفين
- 59-57 ب. سيطرة المغول على العديد من المناطق في آسيا الصغرى
- 60-59 ج. تترك الأناضول
- 60 2. الآثار الاقتصادية
- 62-61 أ. بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية
- 63-62 ب. بالنسبة لدولة السلاجقة
- 66-63 3. الآثار الاجتماعية
- 64-63 أ. بالنسبة للجانب البيزنطي
- 66-64 ب. بالنسبة للجانب السلجوقي

الفصل الثالث

- 97-67 - العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك
- 74-68 - أولاً: ظهور المماليك وقيام سلطنتهم
- 82-74 - ثانياً: علاقة البيزنطية بالمماليك البحرية
- 78-74 1. العلاقة بين الطرفين في عصر الظاهر بيبرس
- 82-78 2. علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك في عصر أسرة بني قلاوون
- 84-82 - ثالثاً: علاقة الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك البرجية (الجراسية)

84	- رابعاً: الآثار المترتبة على العلاقات البيزنطية المملوكية
94-84	1. الآثار السياسية
89-85	أ. جلاء الصليبيين عن بلاد الشام
91-90	ب. إفشال مخطط شارل الانجوي في السيطرة على القسطنطينية ومصر
94-92	ج. الحد من الخطر المغولي على الأراضي البيزنطية والإسلامية
97-95	2. الآثار الاقتصادية المترتبة على العلاقات البيزنطية المملوكية
95	أ. المعاملة الحسنة لتجار الطرفين في كلا البلدين
97-96	ب. تأمين الطرق التجارية المهمة للطرفين

الفصل الرابع

128-98	- العلاقة بين الدولتين البيزنطية والعثمانية
102-99	- أولاً: نشأة الدولة العثمانية
116-103	- ثانياً: العلاقات البيزنطية العثمانية في المدة من (699-805هـ/1300-1402م)
123-116	- ثالثاً: العلاقات البيزنطية العثمانية في المدة من (806-857هـ/1403-1453م)
137-123	- رابعاً: نهاية الإمبراطورية البيزنطية
133-129	- الخاتمة
149-134	- الملاحق
170-150	- قائمة ومراجع البحث
173-171	- فهرس البحث